

إبراهيم الحسينى

الـعــطــش

مسرحية

الطبعة الأولى ديسمبر 2020

بطاقة الكتاب

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب	العطش
المؤلف	إبراهيم الحسينى
التصنيف	مسرحية
رقم الإيداع	2020 - 1958
الترقيم الدولى	978-977-6835-64-1
رقم الإصدار	670 الطبعة الأولى 2020
عدد الصفحات	100 صفحة
الإخراج الفنى	مؤسسة النيل والفرات

رخصة مزاولة مهنة:58365 - سجل تجاري: - 13242 / 2017 - بطاقة ضريبية: 35-01-572
عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018
هاتف:01011256943 - 01116202218 - 01202541192 التيليفاكس:020554372901
nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات
alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat
المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية - العاشر من رمضان - مجاورة 13 - امام سنتر الـ13 - عقار 304

لجنة التحكيم

د محمد فتحى محمد فوزى

كاظم العطشان — سليمة القزيرى

عبد المجيد بطالى — رضا أبو الغيط

د.حمدى عبسى الطيرة — إيهاب همام

مسابقة فارس الإبداع العربى

الدورة 1

مسابقة سنوية برعاية مؤسسة النيل والفرات وجريدة صدى المستقبل

رئيس مجلس إدارة مؤسسة النيل والفرات
ناجى عبد المنعم

رئيس مجلس إدارة منظمة صدى المستقبل
د.إبراهيم عبد الحميد

المشرف العام
أشرف بدير

المدير العام
د.أمانى إبراهيم

المدير الفنى
سميرة محمودى

رئيس لجنة التحكيم
عبد العزيز بندق





بقلم
شيخ المثقفين العرب
د. إبراهيم عبد الحميد
رئيس منظمة صدى المستقبل

الكتابة هى المثالية الجامحة التى ولدت من رحم المعاناة الذاتية للمبدع تحوى القيم التى تدور جذورها فى فلك عقله وهى وريثته الشرعية لكينونته الآدمية .. تجمع تأثيرات الحياة الإنسانية وترصد عقلانية نظرته لظواهر الحياة المتنوعة ...فالمبدع الحقيقى يغوص فى أعماق ذاته باحثاًعن إجابة على أسئلة لم تطرح يفهم نشوء وجوده وارهاصات الحياة الاولى وغير ذلك تصبح الكتابة مجرد حفنه كلمات لثرثرة فارغة .





بقلم
الشاعر الناقد
ناجى عبد المنعم
رئيس مؤسسة النيل والفرات

(المبدع لا ينتمى .. وإنما يُنْتمى إليه) انطلقت مسابقة فارس الإبداع العربى من هذه القاعدة لتقدم مبدعا محررا من القيود التقليدية التى تعرقل إبداعاته فنجحت واحتلت المركز الأول عربيا والرابع عشر عالميا لتقدم مبدعا لا إبداعا يستطيع أن يرسم خارطة وطنه بفكر حر دون أية ضغوط تعوقه ، أو رقابة تنال منه ليحقق لقبا خالصا يستحقه عن جدارة هو فارس الإبداع العربى فى نسخته الأولى 2020 مليون مبارك للفائزين

فوز مستحق لمبدع كبير

بقلم الأديب المستشار



أشــرف بـديـر

المشرف العام وأمين عام المهرجانات

لم تكن مسابقة فارس الإبداع العربي التي أقامتها مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع بمصر ومنظمة صدى المستقبل الإعلامية الليبية ، لم تكن مجرد مسابقة أدبية عادية، بل كانت مسابقة أدبية عربية دولية، تنافس فيها أطياف من المبدعين العرب، كل في مجال إبداعه، لذا دنت أعداد المشاركين من الألفي مشارك، وانطبقت معايير المسابقة وشروطها على ما يقرب من سبعمائة مبدع، ثم أفرزت لجان التحكيم من فاز بالمراكز الأولى حتى الثالثة بما يقرب من الخمسين مبدعا في كافة مجالات المسابقة، فضلا عن كونهم من القامات الأدبية العربية السامقة، ذلك ما أهل المسابقة لأن تكون الأولى عربيا

وضمن العشر مسابقات دولية في مجال الأدب العربي..لذا ، عندما يفوز أي عمل في تلك المسابقة فإن هذا يؤكد جدارته، حيث مر بعدة مراحل من مراحل المسابقة، فقد مر على لجان المراجعة، ثم على لجان التحكيم، ثم على اللجنة العليا للمسابقة.. من هنا كان هذا العمل الذي بين أيدينا (الفائز بلقب فارس الإبداع العربى) مثارا للفخر للقائمين على المسابقة قبل أن يكون كذلك بالنسبة لمؤلفه، فهنيئا لكم إخوتنا وأخواتنا أساتذتنا المبدعين لهذا الفوز المستحق، ومزيدا من النجاح والتقدم..

العـــــطش

(لوحـــــــة مسرحية في ثماني حركات)

ـ مفتتح سردي

1 - البدء... كان كلمة

2 - أول الحزن... رؤيا

3 ـ انحنِ وأنت توقّع!

4 ـ عازف الناي يأتي متأخرًا

5 ـ ردَ كلامك ودَعنا نحيا

6 ـ السؤال والبشارة

7 ـ جبال الثلج

8 ـ آخر أيام الدنيا

الشـخصيات:

ـ الشيخ مُعلّم الأطفال: لا يوجد اسم معين، له عشرات الأوصاف، وكلها مهمة.

ـ عازف النــــــــاي: مدوُّن للأحداث، كاتب تواريخ وأفكار، لكنه صامت كحجر، رغم ما يكتنفه من بعض الحلم.

ـ سعفان الكبيـــــر: عمدة القرية، يهوَى لعبة الشطرنج، ويتحرك كواحد من بيادقها.

ـ الغـــــــــــريب: يهوى اللعبة ذاتها؛ لكنه لا يقتل الملك، بل يستمتع بخنقه أكثر، وتحريكه كما يريد.

ـ شـاهر العرَّاف: متلوّن، يحفظ ويردد ما حفظه وما أمليَ عليه، كببغاء سجين داخل قفص ذهبي.

ـ صـــــــــلاح: ابن الشيخ معلم الأطفال، عالم، أفكاره أطول منه عمرًا.

ـ زاهـــــــــر: عالم؛ لكنه يفضل الموت خارج بلاده.

ـ ســـــــلمى: مجرد حلم مر بخيال الكثيرين، تحلم- كأي أنثى- بزفافها؛ لكن حلمها قد يأتي بعد فوات الأوان.

ـ ضاحي: فكرة تقاوم بمفردها، وتصر على دفع ثمن تخاذل الآخرين.

ـ الأم: باحثة دائمة عن مجرد لحظة للأمان، تجدها؛ لكنها لا تملكها.

ـ مسجل الاختراعات: شيء يتحرك سريعًا في اتجاه رفض إنسانيته.

ـ شخصيات ثانوية لكنها مؤثرة كثيرًا:

مخترعون: 1، و2 ، و3، ...

وأطفال:1 ، و2 ، و3 ، ...

ورجال: 1، و2 ، و3 ، و4، و5 ، و6، و7، و8،...

نساء: 1، و2 ، و3 ،...

حراس: 1، و2 ، و3 ،...

مقدمـة

العطش ...

سردية درامية كبرى ابتلعت عناصر الحدث والشخصية والصورة.

ـ في البداية أحيي تلك الشراكة العروبية بين مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر المصرية ومؤسسة صدى المستقبل الاعلامية الليبية وأثمن هذا التوجه الذي يهتم بحركة التأليف المسرحي من خلال إقامة مسابقة الإبداع العربي التي فاز بجائزتها هذا العام 2020 نص مسرحية "العطش" للكاتب المصري ابراهيم الحسيني ، فهذة الجائزة معنية بالأساس بطباعة ونشر المؤلفات الفائزة وإتاحتها للقراء باللغتين العربية والانجليزية وهو توجه رائع ومميز وهام ويحقق عدة أهداف في مقدمتها تشجيع كتاب المسرح ونشر أعمالهم على محيطين الاقليمي والعالمي وهو دور ينبغي أن تكون له الريادة في الثقافة العربية.

الكتابة عمن تعرف وتحب:

إن الكتابة عن إبداع من تربطك به الذكريات الطيبة أصعب بكثير من الكتابة عن ابداع شخص مشاعرك نحوه محايدة لأنك لا تستطيع أن تفلت من ولعك به وبفنه وميلك لتثمين كل ما يقدمه .. قل إنها كيمياء تحتاج لخبرة تفوق الخبرات العادية

للفكاك من أسر الذكريات على أي حال سأحاول في هذا المدخل إلي قراءة النص المسرحي "العطش" القيام بهذه العملية الجراحية المعقدة مستعينا بخبراتي كأستاذ أكاديمي وباحث ومسرحجي إحترف الكتابة منذ ربع قرن أو يزيد.

في رأيي أن إبراهيم الحسيني هو أحد أهم كتاب جيلي على الاطلاق وهو بالنسبة لي الكاتب المسرحي المفضل ولي أسبابي ، ولي أدلتي ، فمسيرته الابداعية المضيئة تؤكد ذلك بما لا يدع مجالا للشك ولكن دعوني أولا أشرح لحضراتكم سر حماسي لكاتبنا في ضوء علاقتي الشخصية به التي بدأت عام 1994سنة إلتحاقه بقسم الدراما والنقد المسرحي ربما يفسر لكم ذلك مقدار ما أكنه له من تقدير ومحبة مبدعا وانسانا ، فبطبيعة الحال كل معلم حتى وان كان صغير السن يصبح كالأب الذي يتمنى دوما أن يرى تلامذته وهم يتفوقون عليه وحينها يشعر بالرضا عن عمله كمعلم ولقد عينت معيدا بقسم الدراما والنقد عام ١٩٩٣ وكان ابراهيم الحسيني في طريقه لأن يكون طالبا يبشر بكل خير وكنت أراه الامتداد الطبيعي لعنقود الموهوبين من خريجي المعهد العالي للفنون المسرحية أحد أعرق معاهد أكاديمية الفنون المصرية فصادقته ونشأت بيننا علاقة إنسانية خارج إطار المحاضرة وسلطة المعيد والمدرس المساعد وكنت أرى أن مستواه يفوق مستوى معظم الدارسين بالقسم خاصة وذاك بشكل أولي على مستوى القدرة على تطويع اللغة لمنابع أفكاره ولقدرته على التخييل لذا لم أكن أحاسبه على تغيبه عن المحاضرة

أو أداء التدريبات لعلمي بأن مستواه يفوق مستوى الطالب العادي وكأي صديقين تبادلنا الخبرات الابداعية فكنا نلتقي في جلسات الشعر والأدب يسمع شعري وأسمع كتاباته وكعادة الأشقاء لا يستمر الأمر على وتيرة واحدة فأحيانا يدب الخلاف ، وطبعا لا يدوم هذا الخلاف مثلما يدوم الحب والإحترام .. بالفعل دب خلاف بيننا في سنة تخرجه 1998 وحقا لا أتذكر أسبابا لذلك الخلاف الآن مثلما لا أتذكر أسماء كل طلابي.

المهم ربما ظن صديقي أن غضبي سيذكرني بسلطة المدرس فانقطع عن حضور محاضراتي وكنت أتسائل هل ظن أنني سأنكل به.. ؟! لا أعرف ، لكنني إحترمت إستسلامه الراقي لقراري أيا كان دون لوم وذلك احتراما للصداقة وهو ما ينم عن نبل في شخصيته وفي نهاية العام فوجئ صديقى أنه الوحيد الذي حصل في مادتي على تقدير "جيد جدا مرتفع" وهو أعلى تقدير في الدفعة فدهش وأسرع إلي وحيرته في عينيه فقلت له كان الفيصل بيني وبينك ورقة الاجابة وقد أجدت فيها لأنك متميز وينتظرك مستقبل باهر وتذكر هذا ، أما المحاضرات فكانت في مستوى الطالب المتوسط ولم تكن لتضيف إليك الكثير يا صديقي.

لا أخفيكم كنت معجبا وسعيدا به وبشخصيته وبعدها طبعا تعمقت صداقتنا أكثر وظلت مستمرة الى اليوم لاتشوبها شائبة هو يقدرني وأنا أفتخر به ولا أنسى له أنه رغم المكانة الرفيعة التي وصل إليها في عالم الكتابة المسرحية إلا أنه حتى الأن يعاملني بنفس التقدير الذي يكنه الإنسان لمعلمه فهو بحق شخص وفي ونادر في هذا الزمان.

قراءة سريعة لثلاثة مسارات:

هذا مدخلي الأول أما مدخلي الثاني يكمن فى قراءة سريعة لسيرته ومنجزاته الابداعية التي تؤكد بلا شك أننا أمام علامة من علامات الكتابة للمسرح وأن حماسي له لا يرتبط فقط بذكرياتنا الطيبة بل لأنه موهبة فريدة من نوعها ويكفي هنا أن نركز على ثلاثة جوانب أساسية الأول ضخامة إنتاجه عامة والمنتج منه على خشبات المسارح خاصة والثاني مناقشة مسرحياته في العديد من المؤتمرات العلمية بأماكن مختلفة داخل مصر؛ منها وزارة الثقافة بمختلف مؤسساتها، إتحاد كتاب مصر، أكاديمية الفنون، ودول عربية وأجنبية مختلفة ؛ منها: الإمارات، المغرب، الأردن، الجزائر، فرنسا، وبأكثر من عشرة جامعات أمريكيه؛ منها هارفارد ،فاندربيلت ،نيويورك ،شيكاغو ،بورتلاند ،ميدل تينسي ،كانساس ،وكذا مؤتمر (شخصية الآخر في الفن العربي) بجامعة بوردو الفرنسية وغير ذلك من الجامعات ، هذا بالإضافة إلي كتابة دراسات عن مسرحه لنيل درجات علمية في: المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت وفي كليات الآداب بجامعات : القاهرة ، عين شمس ، حلوان ، كما يتناول الآن الباحث محمد علاء الخطيب مسرحه في دراسة نقدية لنيل درجة الدكتوراه من كلية التربية النوعية بجامعة طنطا ، وقد خصص دليل المؤلفين الصادر عن إدارة المسرح بالهيئة العامة لقصور الثقافة فصلاً لدراسة مسرحه 2014 ، كما خصصت جامعة مدينة نيويورك حلقة بحثية عن مسرحه أدارتها هيلين شو وكان المتحدث الرئيسي فيها شيخ نقاد المسرح في العالم مارفن كارلسون.

أما الجانب الثالث فيتمثل في كم الجوائز التي حصل عليها وما أكثرها ولا يتسع المجال هنا لذكرها فهي متعددة الجهات من: المجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة العامة للكتاب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، إتخاد الكتاب ، منظمة الالسكو بخلاف العديد من الجوائز الهامة بالأقطار العربية: الكويت ، ليبيا ،العراق ، وكذا من أمريكا وفرنسا. هذا بالإضافه لنشاطه العام في كل ما يخص المسرح إنتاجا وتعليما وتحكيما.

كل هذه الأدلة لا تجعلني أشك في أن حماسي لكاتبنا له وجاهته وعمقه ومبرراته النقدية فهو حماس لا تشوبه شائبة وأتمنى أن تحتوي هذه المطبوعة على سيرته الذاتية الكاملة لأنها سوف تضيء الكثير من جوانب حياته ومسيرته وتقدمه للقارئ بما يستحقه.

العطش .. سردية كبري

المدخل الثالث في هذه المقدمة هو النص المسرحي الذي يحمل إسم (العطش) ، والعطش كلمة تحيلنا لعوالم الجدب والجفاف كما تذكرنا بالأسر والهجران والإغتراب والعزلة فالعطش المادي عطش البدن والنفس والروح والأفئدة ، عطش العقول ، عطش المقهورين وهي كلمة مفتاح ومؤشر ثقافي لواقع نخشى منه ، وقد تحيلنا لقضية القلق إزاء المياة العذبة وعلى المستوى المحلي تحيلنا لنهر النيل والأخطار التي تهددنا بالعطش مستقبلا. كما أن العطش هو الكلمة السحرية التي تأخذنا للعالم الذي صاغة الكاتب بعناية وبرؤية بونية وكينزية تشغي بالحركة في ذهنيته

وهذا واضح في الأسلوب التخييلي البلاغي الذي صاغ به الكاتب الإرشادات المسرحية فهى لا ترسم الفضاء الدرامي فقط بل تكشف عن موسيقاه وإيقاعه الشعري الداخلي حتي أنها توحي بأنها جزء لا يتجزأ من السياق السردي الشاعري وكأنها جزء من نص الراوي بل وتكمل وظيفته. النص كالفسيفساء حين تجتاح ألوانه مقلة عينيك فلا تعرف نهاية للإستمتاع بالتفاصيل الكثيرة به ، فالعطش سردية كبرى ابتلعت عناصر الحدث والشخصية والصورة والصوت لتحمي سياقاتها التي تتقاطع داخلها الأزمنة والأمكنة و الأفكار والقيم والإسقاطات والعلامات بشكل لاهث لا يتوقف عن الدوران والبحث عن إجابات ، ويمكن تشبيهها ببكرة ثقيلة من الخيوط اللغزية التي تتوالد وتتكاثر وتتضخم فوق الأرفف المتهالكة لمنزل شارف على الانهيار.

مجتمع النص المسرحي مجتمع عاجز عن الفعل تحيط به الأوهام من كل اتجاه وهو مستسلم تماما لهذا الوهم يجمع خيوطه ويلضمها ويضيفها لبكرة خيوطه الثقيلة دون أن يحاول فك الألغاز أو ربما يعرف الحلول ولكنه يعجز عن الافصاح عنها وممارستها. الشخصيات في هذا العالم ليست شخصيات من دم و لحم بل هي علامات داخل هذه السردية الكبرى تتحرك كما أراد لها الراوي داخل الدراما وهي لسان حال (الراوي/المؤلف) الذي يحرك هذا العالم ليضمن إثارة ذهن المتلقي طوال الوقت ودعوته للتفكير في وضعيته داخل هذه المنظومة الفاسدة والمتهالكة التي جعلت الآخر يحتل الذوات / البشر قبل احتلاله البيوت التي شارفت على الانهيار.

الشخصيات تتحرك كعلامات وأفكار:

يؤكد وصف الكاتب لشخصياته الدرامية ما ذهبت إليه فهو يصف شخصياته كعلامات لأفكار ومواقف ومشاعر وعوالم فالشيخ معلِّم الأطفال يصفه في تعريفه الأولي للشخصيات بأنه: "لا يوجد له اسم متعين، بل له عشرات الأوصاف" ، وعازف الناي: "مدون للأحداث وكاتب تواريخ وأفكار، لكنه صامت كحجر بالرغم مما يكتنفه من بعض الحلم" ، وسعفان الكبير: "عمدة القرية، يهوي لعبة الشطرنج ويتحرك كواحد من عساكرها" ، والغريب: "يهوي نفس اللعبة لكنه لا يقتل الملك بل يستمتع بخنقه أكثر وتحريكه كما يريد" ، وشاهر العرَّاف: "متلون، يحفظ ويردد ما حفظه وما أملي عليه كببغاء سجين داخل قفص ذهبي" ، وصلاح: " إبن الشيخ معلم الأطفال، عالم، أفكاره أطول منه عمرا" ، وزاهر: "عالم لكنه يفضل الموت خارج بلاده" ، وسلمى: "مجرد حلم مر بخيال الكثيرين، تحلم كأية أنثي بزفافها لكن حلمها قد يأت بعد فوات الأوان" ، وهكذا ، الشخصية هنا تتحرك كفكرة ، كروح ، كموجة تسري وتتكون عبر تداخل الأزمنة وصراعات الأمكنة ، ويظل الأمل في نهاية الأمر ووسط هذه الصراعات والتناقضات والشخصيات الملغزة معقودا على الأطفال الذين تعلموا على يد معلم يؤمن بقضايا مجتمه فأصبح يهدد بأفكاره وطروحاته ذلك المشروع الإستثماري الإستبدادي لصراع حضاري له جذوره التاريخية البعيدة.

صور درامية ورؤي كابوسية:

إن هذا النص الذي بدأ بالعطش تلك الكلمة المفتاح يؤكد طوال الوقت أنه ليس نصا مسرحيا تقليديا بل سردية تؤشر لعالم يعاني من تجليات صور: العطش ، فقر الطاقة ، التيه والقسوة الروحية وهذا تؤكده مداخل النص ومشاهده التي تتخذ الأسلوب السردي الروائي فالنص رحلة يسافر فيها القارئ عبر مجموعة من الصور الكابوسية والحالمة ، وهذا السفر ينهك القارئ مثلما تنهكه رحلة الحياة في عالم يفتقد الوعي بمنابع المأساة بل ولا يملك القدرة على الفعل أصلا وهنا تأتي أهمية النص كناقوس لتنبيه العالم من الخطر القادم.

يقول الكاتب أن مسرحيته: "كتبت بالفصحي في عام 2001 ولم تنشر ولم تنفذ علي خشبة المسرح للآن، وقد تمت إعادة صياغتها بعد ذلك بعدة أعوام لتجرب حظها في الخروج للنور ؛ كما أنها تعالج فكرة حرب المياة العذبة الباردة في العالم كله وتتوقف كثيرا عند عطش العالم المحتمل."

جمل مفتاحية ووحدات درامية تعيد رسم العالم:

وقد أشار الكاتب لمجموعة من الجمل المفتاحية للمسرحية علي صفحته الشخصية بالفيسبوك بعد إعلان فوزه بجائزة الإبداع العربي جاء فيها: (البترول ينفذ - التكنولوجيا الحديثة تفكر لمصلحتها - مصادر جديدة للطاقة - الأزمنة تنصهر في لحظة واحدة - للخوف رغباته الخاصة - لاشيء يحدث في العالم بالصدفة - الإضطرار للخيانة - الموت ليس آخر الحدوتة

ويمكن عبر استعراض النص وقراءة بعض التفاصيل ان نلمح ما أشار اليه الكاتب وان كان النص في تصوري أكثر إنفتاحا من تلك الجمل المفتاحية وينقسم النص للوحدات الدرامية التالية:

الوحدة الأولى بعنوان مفتتح سردي بعنوان "عن الحرب والتفكير والعطش المحتمل" ، وهو مفتتح سردي على لسان الكاتب في الحقيقة وليس على لسان شخصية من شخصيات العمل ، وقد يوحي ذلك للمخرج بوجود صوت مسجل محايد يمثل الراوي / الكاتب الذي يرى في مخيلته أن الأمل يكمن في الصبي حين يفكر في حكمة الشيخ ويعيد إنتاجها وقد اكتشف ما لم يكتشفه أهل القرية وهم في التيه يدورون.

الوحدة الثانية هي بداية الأحداث الداخلية وتحمل عنوان "البدء كلمة" وهذه الوحدة تنقلنا نقلا سينمائيا من المفتتح السردى لتفاصيل صورة أهل القرية وتبدأ الوحدة بكلمات العراف وتوسلاته للكبير أو للسلطة التي تمده بالقوه ويمدها هو بالسيطرة على أهالي القرية بالوهم وما أن تنتهي وظيفتة ويصبح أهل القرية عجينة طيعة تتشكل في يد الكبير يجاهد هذا "العراف" بتوسلاته من أجل أن يحتفظ بمكتسباته ولكن من دون جدوى وبالرغم من ذلك يصبر عله يصل لأي مكاسب محدودة.

وتظهر في هذه الوحدة العارضة مجموعة من الأفكار التي تنطق بها الشخصيات على نحو ما حدده الكاتب في توصيفه البلاغي الإفتتاحي للشخصيات ضاحي والام وسلمى والعراف والكبير والغريب والشيخ وعازف الناي والأطفال ، وذلك بتصويرهم كما لو كانوا في جاليري بمعرض التيه والدوران العبثي في دائرة الكبير ، ذلك الكبير الذي يتحول للعبة في يد الغريب ، لعبة يحكمها قانون المصلحة والمنفعة والمقولة المكيافيلية "الغايات تبرر كافة الوسائل". وبالتالي نحن نبدأ في التعرف علي عدة سلطات قائمة وبدأت في التكون داخل النص ، أولها سلطة الغريب ، يليها سلطة الكبير "عمدة القرية" ثالثها السلطة الدينية الممثلة في "شاهر العراف" والتي يتم إستخدامها وقت الحاجه إليها ونفيها بعد أن تنفذ المنطلوب منها.

أما الوحدة الثالثة تحمل عنوان: "أول الحزن رؤيا" وهي وحدة تعكس إزاحات الواقع التاريخي على الحدود اللاوعية بين الحلم والكابوس فعازف الناي يحاول كتابة التاريخ لكنه لا يستطيع أن يرصد الحقيقة كما حدثت ، فالتاريخ لا يكتبه المهزوم ، وعازف الناي من ضمن المهزومين ، ومهنته التي يعرفها هي التدوين ولا يجيد مهنة غيرها ، لذا فهو يملأ فراغات التاريخ من خياله ومن مقولات الناس التي لا تقول كل الحقيقة وكذا من مقولات المنتصر والمسيطر والتي لا تحمل في طياتها الحقيقة بقدر ما تحمل توجه ما يراد توصيله .. ونتعرف في هذه الوحدة على صلاح وشاهر واللذان فقدا بوصلة الأمل برحيل الشيخ الأب المعلم "الشيخ معلم الأطفال" والذي يعتبر الرؤية والروح والضمير.

الوحدة الرابعة تحمل عنوان: "إنحن وأنت توقع" وفي هذه الوحدة يجبر ضاحي على توقيع عقد بيع داره الذي يقع فوق بحيرة من البترول .. ولما لا يبيع وكلهم باعوا من زمن والأم تصرخ أثناء تعذيبهم لها: "وقع يا ضاحي .. سنموت" ، فالمقاونة هنا بين ضاحي من جانب وأهل القرية من جانب لم يعد لها معنى وحال أهل القرية كما يقول المثل الشعبي: (أذن من طين وأذن من عجين) وفي نهاية الوحدة يتخلص الغريب بدعم الكبير من هذا الشاب المتمرد "ضاحي" بينما أهل القرية لا يحركون ساكنا والأم تغرق أكثر في بحر الصراخ والألم والحزن من دون جدوي.

الوحدة الخامسة وتحمل عنوان: "عازف الناي يأتي متأخرا" ، والعنوان يشرح مضمون اللوحة ويكشف زيف التاريخ ففي هذه اللوحة تظهر شخصية أهل القرية وعجزهم التام عن الفعل وتحديد المصير حيث يتم الاستيلاء على البترول الذي تخرجه أراضيهم مقابل منحهم مظاهر الحياة الشكلية بينما هم لا يفكرون في معرفة حقيقة مقتل "ضاحي" ،

و لا مقتل "الشيخ معلم الأطفال" ويستطيع الغريب بما له من قدرات أن يتلاعب بهم كقطع الشطرنج بينما يشاركه الكبير اللعب على الطاولة ، كلاهما امتداد للآخر ومعبر عنه ، أما عازف الناي فيصل متأخرا وحين تنقصه المعلومات يلجأ لقريحته ويؤلف ما خفي عليه ليصبح التاريخ مجالا للابداع بدلا من رصد الحقائق كما هي ، وهذه الوحدة بشكل عام تحذرنا أيضا من نقص قادم في المياه العذبة ومنابع الطاقة.

في الوحدة السادسة وتحت عنوان: "رد كلامك ودعنا نحيا" وهي لوحة طقسية تعيد تجسيد مقتل الشيخ في المعتقل من خلال إعادة تجسيد أسباب إعتقاله في حركة متداخلة بين الأزمنة والأمكنة فنرى طريقة صلبه علي جذع شجرة تذكرنا أو توحي لنا بطريقة الصلب الشهيرة في التاريخ لكل مستنير ، فالشيخ يهدد مشروع الغريب والكبير معا وذلك بالإستنارة والتوعية وإعمال العقل والتفكير وينتقل الطقس نفسه لضاحي وسلمى والأم ويستمر الكشف عن تفاصيل ماضوية تعيد رسم ما تم تأجيل الكشف عنه من الدراما لهذه اللحظة داخل ثنايا الإستعانه بحيل الطقس والحلم ، وكذا اللحظة اليقظة .

وفي الوحدة السابعة والتي تحمل عنوان: "السؤال والبشارة" يرى صلاح وبرفقته زاهر صورة الأب / المعلم / الوعي في وجوه الناس فهو يعيش في وجدانهم حياة جديدة بأفكاره بعد أن غادر بجسده الحياة .. ولكن هل يعود الموتى للحياة.. ؟؟ يستنشق أهل القرية هواء البشارة المنعش ويتمنون رؤية الشيخ ليحصلوا على البركة فهم لا يرونه بعقولهم وبوعيهم وبرغبة في التغيير والإستنارة بل يرونه كتميمة لجلب الحظ

فأقصى طموحاتهم يتلخص في الحصول على البركة كالدراويش والمريدين ويظل الأمل معقودا على ثلاثة من المخترعين لانقاذ العالم من النقص القادم لا محالة هذا الأمل الذي يقضي عليه الموظف المسئول عن تسجيل حقوقهم الفكرية فهو مصدر كبير لطاقة من الإحباط والإنكار لا حدود لها وتنتهي هذه الوحدة بعودة العراف لممارسة دوره في تغييب الوعي مدعيا أنه عاد بعد موته للحياه ليحقق أعلى درجات السيطرة على كل من حوله.

وفي وحدة جبال الثلج الثامنة يكشف الكاتب بطن العلامة في دور شطرنج بين الغريب والكبير تتحول فيه القرية لدمى وقطع على الرقعة ومربعات الأبيض والأسود بين الحزن الدموي والبشارة الحالمة حيث تهجم الأشباح على سلمى / المعنى الذي يرقد في وجدان الكاتب ابراهيم الحسيني فهي لوحته التي يستنهض فيها القيم التي ماتت في ضمائر وانتهكت بفعل التدخل الخارجي في مصائر أهل الأرض ، ويري فيها العرض الذي انتهك أمام مرأي ومسمع الجميع من دون قدرة حقيقية علي الحفاظ عليه ، أهل القرية لا يفكرون وإن رأو فإنهم يرون الموتى ويتبركون بهم ويتناسون الأحياء ، فزاهر وصلاح يبتكران ويخترعان بسطوة الوعي والنور الذي زرعه هذا الشيخ في أعماق الحكاية داخل رؤوسهم لإنقاذ الجميع من العطش القادم ، يتبركون بالموتي ويطلبون منهم الحياة بينما يطلبون الموت لمن بيدهم حياتهم الحقيقية ، فالطفلان اللذان تعلما مع الآخرين أشعار الأولين يموتان قهرا الآن بينما يتردد داخل فضاء النص ترديدهما لأغنيتهما القديمة والتي غنياها في طفولتهما في تلك السردية الكبرى ويقولان:

الطفلان:[يغنيان] أيها الواقفون علي حافة المذبحة أشهروا الاسلحة سقط

الموت وانفرط القلب كالمسبحة ....

الشيخ: اعرفوا أنفسكم، وتعلموا كيف تفكرون ..؟

تعود بنا تلك الوحدة للبداية وتلقينا نحو نهاية الأحداث بصورة شاعرية تعكس موهبة الكاتب وميله لتخييلات الشعر في بناءه للدراما.

وفي الوحدة التاسعة والأخيرة: "آخر أيام الدنيا" نجد الأحلام تهاجم العراف الضلع الثالث في لعبة مثلث الضياع [سلطة الخارج "الغريب" ، سلطة الداخل المؤتمرة بأمرها " الكبير" ، سلطة الإيحاء " شاهر العراف"] حيث يحاول إقناع زاهر وصلاح ببيع اختراعاتهم للمدن المنتصرة (وطن الغريب) وهنا تتكشف لعبة الكاتب الذي يحركنا نحن قراء وعشاق هذه السردية الكبرى بين أزمنة الحكاية ، والتي نتقافز فوقها كالدمى على رقعة الشطرنج ، إنه إستفزاز ما بعده إستفزاز واستنفار للقدرة على الفعل التي يحاول الكاتب إيقاظها داخلنا لننقذ بفعل إستنهاضها المستقبل. إنها صرخة كاتب مسرحي وشاعر الحكاية في وجوهنا وكأنه يقول لنا:

ـــ أفيقوا حيث لن تفيقوا .. آااااااه.

د. مصطفى سليـــــم

المعهد العالي للفنون المسرحية

القاهرة فى 30 – 10 – 2020

قبـــل أن تقـــرأ:

{1} الواقعي والغرائبي في الأماكن والأحداث، الزمن بتشكّلاته المختلفة، الشخصيات بماضيها، حاضرها، مستقبلها، وكذا أحلامها، بوجودها الفيزيقي/ الواقعي، وكذا وجودها المتخيَّل، كلٌ ينصهر داخل النص المسرحي كوحدة واحدة، حاضرة لخدمة المشهد المسرحي بعناصره المتراكبة: مرئية، مسموعة، لونية، شعورية.

{2} البيئة الديكورية ثابتة طوال المسرحية،عدا بعض الموتيفات الضرورية المتغيرة حسب الموقف الدرامي؛ فمن خلال مستويات عدّة- متدرجة في الارتفاع- نستطيع أن نلمح بعض الأماكن، ففي اليمين معمل صلاح وزاهر للاختبارات العلمية، مواقد غاز، مواد كيميائية، كومبيوتر، أقلام، أوراق، وفي اليسار بيت كبير القرية (الكبير)، وفي الوسط يوجد كُتّاب القرية؛ حيث يجلس الشيخ معلّم الأطفال، بينما تتحلق حوله مجموعة من الأطفال الصغار، نتعرف من بينهم على ابنه صلاح "طفلاً"، وابن أخيه زاهر "طفلاً" أيضًا.

ومنتصف خشبة المسرح الأمامية خالية، إلا من جذع شجرة جرداء، وبعض الأماكن للجلوس، منحوتة- كما يبدو- بفعل الطبيعة من الصخر والخشب، بين هذه الأماكن وبعضها طرق صغيرة متعرجة، تصل بالممثل إلى أي مكان يريده ولا فواصل، فتحديد الإقامة غير وارد بالمرّة.

أما مشاهد تجسيد الأحلام والرؤى المتداخلة؛ فللموسيقي والإضاءة والتناصات الشعرية والتاريخية دور البطل فيها، وذلك متروك لتخييلات المخرج.

مفتتح سردي

عن الحرب والتفكير والعطش المحتمل

[أثناء دخول الجمهور لصالة المسرح، ومن ثم جلوسهم، يُقرأ هذا المفتتح بصوت هادئ جدًا، يرتفع تدريجيًّا، ويمكن أن تتخلله جمل أخرى مختارة من النص، مختلطًا ذلك بالموسيقي، خاصة تلك التي تعتمد علي الناي، مع محاولة تكوين لوحات بصرية بالإضاءة وقطع الديكور داخل الفضاء المسرحي]

ما زال في قريتنا رجلٌ يفكر، كان إذا صحا من الأرق فكر، وإذا رجع إليه فكّر، وإذا خط ما فكر فيه انطلقت الحروف طيورًا برّية صبغت الشمس ألوانها ومنحتها فضاءً مسكونًا بالحرية، كان- وما زال- الأطفال من حوله يرددون ما فكر فيه، دافعين الغيوم بعيدًا إلى ما بعد مقدرتهم علي التخيّل، يلملمون أشلاء خريطة بلادهم؛ ليرصوها جنبًا إلى جنب؛ فتزوغ منهم حدودها.

صاح أحدهم: إذا أردتم أن تصلحوا أوراق الخريطة المتناثرة؛ فأصلحوا وجه الإنسان على الناحية الأخرى من الأوراق. ابتسم الشيخ معلّم الأطفال؛ وأخرج قطعة سكر ليضعها في فم الصبي، ورفع يده؛ فانْتَبَهُوا.. وبدأ المشوار.

خلف الصورة ما زال أهل القرية يدورون في دوائر العيش، الخبز، الجنس، والطاعة...

و...، وما بين الصورتين تمرح الدهشة باتساع العمر، ومن الهوّة بين صاحب الأفكار، والمكتفي بالوقوع تحت أسر الدهشة، زاد العطش، وصُنعِتْ الحرب..

1

البدء.. كان كلمة

[أهل القرية ينتشرون داخل أرجاء الفضاء المسرحي، يظهرون كتماثيل نحاسية صامتة لا تتحرك، فقط تصدر عنهم- ما بين لحظة وأخرى- أصوات تثاؤب، ضراط، تنهدات، آلام،... إلخ.... يدخل سعفان الكبير، وهو رجل جاوز العقد الخامس من العمر، متباهٍ بقوته وجبروته، همجي، محاطُ دومًا بالحراس، يتبعه شاهر العرّاف ملتصقًا بحذائه وزاحفًا علي الأرض]

العراف: أرجوك، أعطني ميعادًا [يكررها عدّة مرات] قل لي قابلني في المكان الفلاني وسأتركك، سيستريح بالي بعدها، أرجوك! أنا أحس بالضياع، انتشلني.. سأموت!

الكبير: [للحراس] أبعدوه عنى [ينظّف سرواله من آثار يدي العرّاف] نبهوا على أهل داري بغسل هذه الملابس جيدًا [يخرج والحراس وراءه]

-العرّاف: [صارخًا] لا، أرجوك اسمح لي أن أغسلها أنا، فعلتها لمن هم أقل منك كثيرًا.. [يبكى] أعطني ميعادًا، وقل لي سنتحدث في ماذا؟! وهل سنختلف أم لا؟ أعدك، لن نختلف؛ فأنا رهن إشارتك، ويحق لك أن تفعل بي ما تشاء، أرجوك!

[يكررها وهو يخرج، يظهر صوت طرقات نحاس، تهتز تماثيل أهل القرية، يتحرك ضاحي وهو شاب لم يتجاوز الثلاثين من العمر، يتحسس امرأة بجواره تبدأ هي الأخرى في التحرك]

ضاحي: [للمرأة] أنت امرأة؟

الأم: وأنت شاب قوى.

ضاحي: هل نستطيع أن نكون أصدقاء أو أقارب؟

الأم: أنت فى سن ولدى ضاحي.

ضاحي: أنا أيضًا اسمي ضاحي، هل تقبلينني ولدًا لك؟

الأم: [تتحسس وجهه ويديه] أنت، أنت ضاحي ولدى.

ضاحي: وأنت أمي.

الأم: إذن هيا لترى داري، دار أمك يا ضاحي.

ضاحي: بل ترين داري، دار ابنك أولًا؟

[يهمان بالخروج، تعاود أصوات الطرقات النحاسية ظهورها، تتحرك سلمى، وهي عروس جميلة ترتدي زي العرس الأبيض، ينتبه ضاحي لها]

سلمى: ضاحي..

ضاحي: أمي، انظري، إنها سلمى عروسي، الليلة زفافي عليها يا أمي، هذه أمي يا سلمى.

سلمى: وأمي أنا أيضًا، هيا بنا قبل أن يسرقنا الوقت.

[تتشابك الأيدي، يخرج الثلاثة، ينزاح ستار في عمق خشبة المسرح، يظهر الشيخ معلّم الأطفال ومن حوله مجموعة الأطفال، يرددون في حماسة الألفبائية، الأطفال يظهر من بينهم سلمي "طفلة" وكذا صلاح، وزاهر]

الأطفال: ألف لا شيء عليها، والباء نقطة من تحتها والتاء نقطتان من فوقها.

الشيخ: أحسنتم، أروني إذن كيف تكتبون الألف؟ [يتناول ألواحهم] هذا جميل، وهذا، وهذا، الله، الله، لقد تقدمتِ اليوم كثيرًا يا سلمى.

الطفلة: لقد ساعدني صلاح في رسم الحروف.

الشيخ: وقد نجح في مساعدتك، خذوا [يخرج مجموعة من قطع الحلوى ويوزعها على الأطفال] قطع حلوى بالسكر، والآن ردّدوا افتتاحية ألفية ابن مالك.

الأطفال: [يرددون] كلامنا لفظ مفيد كاستقم، واسم وفعل ثم حرف الكـلم واحده كلمة والقـول عم، وكلمة بها كـــــلام قد يؤم.

[ضحكة مجلجلة، ثم يدخل الغريب، وهو رجل أشيب بملامح مهندمة ومنسقة جدًا، يرتدى بذلة أنيقة، يقترب من الشيخ والأطفال، يمد يده ليلتقط بعض الحلوي الموجودة بجوار الشيخ]

الغريب: ألا تخشى أن يُسَوِّسَ السكر أسنان الأطفال يا شيخ؟

الشيخ: [مبهوتًا] السوس؟![بغضب مكتوم] أخشي أن ينخر السوس قلوب الأطفال وعقولهم.

[يكف الأطفال عن الترديد، وينكمشون داخل عباءة "الشيخ" كأفراخ صغيرة، تخفت الإضاءة عليهم، ينزل ستار أبيض من أعلى، ليفصل الشيخ والأطفال عن "الغريب"، بغضب يتوجه "الغريب" إلى "عازف الناي"، وهو رجل عجوز له لحية طويلة وملابس متسخة وهيئته لا تنم عن هوّية بعينها، نجده يحمل معه لوحًا وقلمًا ونايًا ويجلس منفردًا، ظهره مقوَّس ورأسه منحنٍ لأسفل، إجمالا يظهر عليه القدم كالتاريخ، يركله الغريب بقدمه]

عازف الناي: [ينتبه] ابتعد عني، لا شأن لك بي.

الغريب: أكتب، إن هذا الشيخ فاسد، يخرّب عقلية الأطفال ويحضهم على...

عازف الناي: اذهب ولا تملِ عليَّ شيئًا، أنا من يرى ومن يكتب، ولا أريد من يُملى عليّ ما أكتبهُ.

الغريب: أنا سيد الكتبة ومؤلف الأحداث وواضع الأفكار، أنا الذي آمُر كل...

عازف الناي: [يقاطعه] ابتعد، وقل هذا لغيري..

الغريب: هكذا؟! من أين تأت يا رجل بكل هذه القوة؟! تذكر جيدًا أنني جئت إليك عارضًا مساعداتي وأنت رفضت، تذكر جيدًا، أنت من رفض. [يكرر ذلك بحالة انفعالية تزداد تدريجيًا، ثم يدهس في طريقه بعضًا من أهالي القرية، فيصدرون أنينًا خافتًا، يكتب "عازف الناي" على اللوح، يرتفع الستار، يظهر الشيخ وترديدات الأطفال، يدخل "شاهر العرّاف" وهو ممزّق الملابس دامي الجسد، يبكى في هستيرية، يقترب من الشيخ يرتمي على الأرض أمامه]

العرّاف: اقبلنى خادمًا يا شيخنا، أنا...

الشيخ: [مقاطعًا] لا تقل شيئًا الآن، قُمْ اغتسل وبدل ملابسك واستغفر الله ثم صلِّ، وبعدها إن أردت قل لي من أنت وما هي حكايتك.

[الشيخ يربت علي كتف "شاهر العرّاف" الذي يواصل بكاءه، يراقب "عازف الناي" المشهد تاركا القلم واللوح ليتناول نايه ليعزف عليه لحنًا حزينًا ، إظــلام تدريجي..]

2

أول الحـــزن.. رؤيـــا

[يبدو فضاء جغرافيا المسرح، من خلال الإضاءات المتغيرة، غير محدد الملامح، تختلط داخله كثير من العوالم الواقعية والغرائبية، أفاعٍ ينتشر فحيحها داخل المكان، إنسان آلي يعذّب امرأة جميلة، "ضاحي" مصلوبًا على جذع شجرة، موسيقى توحي بجو الكابوس تعلو تدريجيًا، ومع الوصول لذروتها تنفجر بؤرة ضوئية حمراء على طبق زجاجي كبير في منتصف حافة خشبة المسرح، تصمت الموسيقى لتحل محلها أصوات نهجان مجموعات كبيرة من الناس مشوّهي الملامح، وهم يدخلون زاحفين على بطونهم باتجاه الطبق الذي يتوالى عليه سقوط قطرات من ماء الشرب، تضاء بؤرة أخرى في عمق الفضاء لـ"عازف الناي" وهو يكتب على اللوح تارة، ويعزف على الناي أخرى، يتحسس الناس قطرات الماء باشتهاء؛ ثم يتدافعون للحصول عليها، يقتل أحدهم الآخر لكي تزداد فرصته في شرب الماء، تتوالى عمليات التزاحم والقتل حتى ينتهوا جميعًا، تظهر بؤره ثالثة بالعمق في موازاة بؤرة "عازف الناي" لرأس كبير يضحك بسخرية، تزداد غرابة الأماكن المظلمة أو الخافتة الإضاءة بين البؤر الثلاث، ما يشكل إيحاءً بكابوس مفزع].

عازف الناي: [يكتب، مع استمرار صوت الناي دون عزف] بدا وجه العالم القبيح، الأفكار لم تعد تؤدي المطلوب منها لكثرة ما أجهضت، وما فلت منها من الموت، أصبح يفكر لمصلحته الشخصية؛ فالأجهزة التكنولوجية أصبحت تفكر لمصلحتها الشخصية وليس لمصلحة البشر، الطبيعة قتلت مواردها، والكائنات تنقرض، إلا من استطاع أن يفكر أكثر مستغلًا سذاجة الآخر والطرق المشروعة واللا مشروعة للبقاء، جفت الأنهار ومنابع الماء العذب، وتوحشت اللحظة وزادت حرقتها وعطشها للأمان، اكتسح الكون لغة التشابه ولا وجود لأي تمايز.

[تعود الضحكات الساخرة للرأس الكبير، ينزل أمامها ستار أبيض تنعكس عليها صورة ظله، تنسال على الستار من الأمام سيول من الدم تكاد تحجب صورة الظل]

هل نستطيع أن نقول إن التواريخ جميعًا تصب الآن فى نهر تاريخ واحد، في أفق معتم يتحكم فيه اتجاه محدد، هل... [يرفع قلمه عن الكتابة، يتأمل ما حوله، تزداد الأصوات والصور المرعبة]... هل هذا ما يسمونه نهاية التاريخ؟! [بغضب] لا ..لا، وظيفتي كتابة ما يحدث وليس تحليله.

[صرخة مدوية، تعقبها صرخات متتالية، ثم يضاء فضاء خشبة المسرح بأكمله لنجد "صلاح، وزاهر" في معملهما وهما شابان في العقد الثالث من العمر، يبدو أنهما استيقظا لتوهما؛ فما زالت آثار الكابوس بادية عليهما]

زاهــــر: نفس الكابوس مرّة أخرى.

صـــلاح: نعم، آه، صداع شديد داخل رأسي.

زاهــــر: كان بالكابوس هذه المرة رجل عجوز يكتب كل ما يحدث.

صلاح: إنه يشبه أبي الشيخ.

زاهــــر: نعم كنت سأقول لك ذلك، إنه صورة من عمي الشيخ، لكنه يبدو طاعنًا في السن وكأنه عاش ملايين السنين.

صلاح: [كأنه يحادث أباه] أبى، أنا أفتقدك كثيرًا.

[يظهر صوت الأطفال وهم يرددون بعضًا من أشعار المتنبي؛ ثم يظهر الشيخ بمكان عالٍ وبجواره طفلان صغيران]

الشيخ: [مخاطبًا الطفلين] يجب أن تتأكدا أنني بخير طالما أنكما بخير.

زاهــــر: [طفلاً] الخير والمعرفة هما غرسك فينا يا عمى.

الشيخ: تذكرا جيدًا أننا لا بد أن نستيقظ بعد الكوابيس، استمرا فنحن بحاجة لكما.

صلاح: [طفلاً] أبى، أريد أن أصبح عالمًا كبيرًا.

زاهــــر: [طفلاً] وأنا أيضًا.

الشيخ: [طفلاً] الرؤيا تتحدث عنكما بالخير والنور.

[يختفي الشيخ والطفلان، تعود الإضاءة لصلاح وزاهر]

زاهر: بماذا تفكر؟

صلاح: في رؤيا أبى، وفينا، وفى آخر معادلاتي الكيميائية.

زاهر: لن يضيّع الله عملنا، أخبرني ما هي آخر معادلاتك؟

[يشرح له صلاح على إحدى الخرائط]

صلاح: انظر! هناك أنواع من نبات الغاب تحيا على الماء المالح، وهذا النبات من العائلة النجيلية التي ينتمي إليها الأرز والشعير والقمح، وإذا استطعنا الكشف عن الجينات التي تجعل الغاب قادرًا على تحمل الملوحة؛ لاستطعنا أن ننقلها إلى القمح مثلًا، وبهذا نستطيع استخدام مياه البحار في الزراعة، ولن تصبح لدينا بعد ذلك مشكلة، أو ضرورة لوجود حرب بسبب المياة العذبة، هل تذكر يوم أصلحنا صورة الإنسان؟

زاهر: أتذكر لقد أصلحنا الخريطة يومها... [وهو يتأمل أوراق صلاح] نعم، ما تفكر فيه من الممكن أن ينقذنا من الجفاف المحتمل.

صلاح: وبالبحث في كائنات البحر؛ ستجد أن سمك القرش لا يصاب بالسرطان، فلو عرفنا ما هي المادة المسئولة عن عدم إصابة سمكة القرش بالسرطان، لاستطعنا أن نعالج ملايين الحالات المصابة، هذا بالإضافة إلى...

زاهر: كفى يا صلاح لقد أصبتني بالدوار.

صلاح: [مبتسمًا] وأنت، ما آخر النتائج التي توصلت إليها؟

زاهر: ما زلت أحاول تجريب مصادر أخرى للطاقة من موارد ومكونات الطبيعة...

[تقطع كلامه صرخة مدوّية لامرأة]

ص. المرأة: الخراب، الخراب، لم يبق شآء ليأخذوه.

صلاح: نفس الحدوتة تتكرر.

زاهر: يبدو أن الليل سيطول بهذه البلاد.

صلاح: أخشآ أن يصير الإنسان الذي يصنع الخرائط عبدًا لها.

[يبدأ صوت الناي في الظهور مع الإظلام التدريجي]

3

انحَنِ وأنت توقع

[ضاحي مصلوبًا على جذع شجرة، أهل القرية من حوله يتفرجون، أمه تركع على الأرض باكية مَصْلوبة بين ذراعي حارسين، يدخل سعفان الكبير ومعه "الغريب"، سعفان يحمل كيسًا مليئا بالموز يأكل منه، يتناول كرباجًا ويضرب به ضاحي، بعيدًا عن الجميع ما زال عازف الناي يجلس وهو يتأمل المشهد في صمت]

عازف الناي: [يغنى من أشعار امرؤ القيس في وصف الليل]

وليل كموج البحر أرخي سدوله

علي بأنواع الهمــــــوم ليبتلي

ألا أيها الليل الطويــــل ألا انجل

بصبح وما الإصباح منك بأمثل

الغريب: خذوها كي يتأدب ابنها ويتعلم كيف يخاطب الكبار.

[يصرخ ضاحي محاولاً التخلص من قيوده]

ضاحي: لا لن تأخذوها، يكفيكم ما أخذتم.

الغريب: [ساخرًا] أنت نفسك ملك لنا، ولولا ذلك لقتلناك.

ضاحي: [للناس] اقتربوا، افعلوا شيئًا، هل تتفرجون علينا، اقتربوا حتى لا يجيء دوركمْ غدًا.

[الكبير يرفع كرباجه، الناس تتراجع في ذعر، يهبط به على الأم]

الأم: آه، وقِّعْ يا بني.. سنموت.

ضاحي: [صارخًا] كفى، فكوا قيودي وأخرجوا أمي من هنا.. سأوقع على البيع بعد أن تتركوها.. [يفكون قيوده]

الغريب: [يناوله قلمًا وورقة] لا تنسَ أن تذكر العنوان والتاريخ.

[يأتي شابُ يجري، ثم يركع سريعا أمام الغريب]

الشاب: سيدي!

الغريب: ماذا؟ [آمرًا] تكلّم!

الشاب: وأنا أدير طلمبة المياة اليوم لاستخراج بعض الماء العذب ضخّت الطلمبة سائلًا غريبًا وعندما تشمّمته وجدته...

الغريب: [يرفع كرباجه] تكلم.

الشاب: حاضر، وجدته بترولاً تمامًا كالذي أخرجته الطلمبة الموجودة في دار ضاحي.

ضاحي: جبان، حقير..

الغريب: [يضربه] اخرس، إنه نموذج شريف للمواطن الذي يحب نفسه وبلده.

الشاب: لقد فكرت أن...

الكبير: [مقاطعا الشاب وهو يترك إصبع الموز من يده ليحشوه في فم الشاب] ماذا قلت؟ [ثم يستأذن الغريب] انتظر لحظة يا سيدي الغريب لقد استوقفتني كلمة غريبة قالها هذا الشاب..

[ثم للشاب] كرر ما قلته مرة أخرى أيها الشاب.. ها..

الشاب: [خائفًا] هل أخطأت يا سيدي؟

الكبير: نعم أخطأت، لا تقل فكرت، كلما سمعت كلمة "تفكير" هذه في بلادنا، أغضب وأجدني وقد رَفَعْت كرباجي رغما عني.

الشاب: لا تؤاخذني يا سيدي؛ لتسامحنا فنحن رعاياك [مستطردًا] أما بخصوص طلمبة الماء التي أخرجت بترولاً فقد أتيت إليكم لتتولوا أمرها وتعطوني الحصة المالية التي ترونها مناسبة لي.

الغريب: قرار سليم، فأنت ترى، [ثم للناس] وأنتم أيضًا ترون ما يحدث لكل من تسّول له نفسه الخروج على النظام.

ضاحي: [للغريب] ولكنك لست المسئول عن وضع أو تنفيذ النظام في بلادنا، أنت...

الكبير: [متدخلاً مرة أخرى] مرّة أخرى تجادل.

المرأة: أرجوكم، اتركوه إنه صغير، وحماسة الشباب تشعل فؤاده، لا تؤاخذوه، لقد مات أبوه في خدمتكم، فلا تذيقوني مرارة الكأس مرتين، اتركوه لي، سأعمل على تأديبه بنفسي..

الكبير: وقعّ إذن على البيع وانصرف، نحن لا نريدك هنا، وسأمنحك بعد توقيع التنازل عن دارك سباطة من الموز الأمريكي كهدية لك.

الشاب: دعني أوقّع أنا أولًا يا سيدي، [يوقّع] هذا توقيعي وتنازلي عن داري وكل ما أملك، توّلوا أنتم مصيري كما ترون، [ينحني، يتناول إصبعًا من الموز يعطيه له الكبير وينصرف]

الكبير: [لضاحي المصلوب] لم يبق إلا أنت، [آمرًا بعنف] وقعّ.

ضاحي: اتركوا أمي أولًا..

الكبير: [بملل] اتركوها [ينفّذ الحارسان]

ضاحي: اذهبي يا أمي، [تتردد الأم في الذهاب] قلت اذهبي!

الأم: [وهى تخرج] سأنتظرك بالخارج.

الكبير: [يقدم له التنازل] وقّع..

ضاحي: [ساخرًا] والآن وبعد أن خرجت أمي لن أوقع، يمكنكم أن تقتلوني الآن بعيدًا عنها..

[يهم بضرب الحارس كي يتخلص منه في محاولة يائسة للهرب، لكن طلقة نارية تعاجله من "الكبير" فيقع صريعا على الأرض]

الغريب: إنه وغد، مجرد صرصار شرير، هيا، اصبغوا إصبعه بالحبر ووقعوا به على عقد البيع!

[الحارسان ينفذان]

الأم: [داخلة وهى تصرخ] ابني.. [تحتضنه باكية] لماذا؟

الكبير: [بحدة] كفّى يا امرأة، هيا احمليه واخرجي من هنا.

الأم: لماذا؟! لماذا قتلتموه؟!

الغريب:[بسخرية] لأنه.. لأنه لم ينحنِ وهو يوقّع.

[الأم تبكى، تتداخل مع بكائها شهقات مكتومة لأهل القرية المتراصين في الأركـــــان كأعمدة نورمطفأة، بينما الكبير يـــدور فى المكان وسط حراسه في خـــيلاء غير مبالٍ بما حدث وهو يواصل أكل الموز... إظـــــــلام تدريجي، مع الإظلام يظهر صوت عازف الناي وهو يردد آخر مقاطع رباعيّته..]

4

عازف الناي يأتي متأخـراً

[أهل القرية ينتشرون داخل أرجاء الفضاء المسرحي ويمارسون الثرثرة]

رجل (1): يصرفون علينا أو نصرف نحن على أنفسنا، ما الفرق؟!

رجل (2): لا فرق، المهم أن نحصل على ما نريده.

رجل (3): وهل سيظلون يعطوننا ما نريده طوال العمر؟

رجل (1): لا تمانع أنت وسيعطوننا ما نريده دائمًا..

رجل (3): أشك في هذا..

رجل (2): أنت تشك في نفسك أصلًا.

امرأة (1): ادعوا معنا أن يتحقق الوعد.

امرأة (2): الوعد؟ وما هو الوعد؟

امرأة (1): الوعد الذي قاله كبيرنا، إن أخرجت كل أراضينا بترولًا سنرفل فى الحرير ونتلاعب بالماس والألماظ وسيكون لكل منا قصر كبير.

امرأة (2): [حالمة] الوعد، إنها الجنة الموعودة، ادعوا معنا.

رجل (1، 2): [يتمتمان بالدعاء] آمين.

[يدخل الغريب]

الغريب: سمعتكم تطلبون شيئًا من الله، أخبروني ماذا تريدون؟ وما هو هذا الوعد الذي تتحدثون عنه؟

امرأة (2): وما شأنك أنت بكل هذا؟

رجل (2):تريثي يا امرأة.. هذا هو الغريب الذي حدثتك عنه، سيغضب منك عمدتنا ومالك أمرنا سعفان الكبير، إنه صديقه المقرب.

امرأة (1): نحن لا نخاف من أحد، ولا حاجة بنا إلى هذا الرجل الغريب أو غيره، ستهبط علينا النقود كالأمطار عندما تخرج أراضينا البترول ..

الغريب: البترول..

رجل (1): اخرسي يا امرأة لقد عرف سرّنا، لم يبق إلا أن تخبريه أننا نعطى هذا البترول لكبيرنا مقابل الصرف علينا..

الغريب: [هازئًا] الكبير؟ تقصدون عمدة قريتكم؟!

رجل (2): والله نحن جميعا بلهاء، هذا الرجل الكريم يعرف كل شيء عنا ولا يحتاج لاستخراج المعلومات منكم، لقد عرف كل شيء قبل أن يأتي لبلادنا، وبالطبع هو يعرف أن الكبير عمدة قريتنا يبيع له كل شيء، وهو رجل طيب ولا ينسانا من كرمه، إنه يغدق علينا بالملابس والأحذية والأطعمة الفاخرة والسيارات والهواتف المحمولة، هذا كل شيء، ولا شيء غيره؛ فهل أضفت جديدًا لمعلوماتك سيدي؟ ألا أستحق مكافأة عن إخلاصي؟

الغريب: [ساخرا يناوله إصبع موز] تستحق، خُذْ.

رجل (2): [يجرى خارجًا] سأعود إليك غدًا، ومعي معلومات جديدة.

رجل (1): [يلحق به] انتظر يا رجل.. اعطني مما أعطاك الغريب.

الغريب: [بسخرية] لديّ ما يكفي لكم جميعًا.

رجل (3): [يقترب من الغريب بحذر] لماذا تهتم بأمور قريتنا؟ ومن أنت؟ ومن أين البلاد جئت؟

الغريب: أنا مجرد ضيف سمعت عن قريتكم فجئت أبحث فيها عن...

رجل (3): [بلهفة] عن ماذا؟

الغريب: عن سوق مناسب لبعض منتجات بلادي.

رجل (3): وماذا تنتجون؟

الغريب: كل شيء يخطر على بالك، أو لا يخطر.

رجل (3): بعض العجائز في قريتنا يقولون إنه سيأتي ذلك اليوم الذي يستحوذ فيه الغرباء على طعامنا وشرابنا؛ لكنني لم أكن أعرف أن هذا اليوم سيجيء بهذه السرعة.

[يخرج رجل (3) غاضبًا، يبتسم الغريب في سخرية]

امرأة (1): [هامسة لصديقتها] لا بد أن هذا الرجل مجنون؛ لأنه يتحدى الغريب، إنه بذلك يزج بنفسه في السجن.

امرأة (2): يمكننا أن نطلب وساطة الشيخ شاهر العرّاف، ألن يأتي إلى هنا اليوم؟

امرأة (1): سيأتي الآن، إنه لا يخلف ميعادًا.

الغريب: العرّاف؟!

امرأة (1): إنه رجل طيّب، يتنبأ لنا بالغيب ويخبرنا بطالعنا، كان خادمًا للشيخ معّلم الأطفال، وعندما مات الشيخ صارت له مثل بركاته.

الغريب: [وهو يناولها بعض النقود فتأخذها سريعًا] وكيف مات الشيخ معّلم الأطفال؟

امرأة (1): قتله... قتله... [تتردد] لا أعرف، أرجوك أنا لم أقل لك شيئًا، ولم آخذ منك نقودًا [تعيدها له] عن إذنك.

[تبتعد امرأة (1) عنه، تسمع جلبة وضوضاء آتية من الخارج، يدخل "شاهر العرّاف"، وقد أصبح درويشًا يحمل البخور، ويلف عنقه بعشرات السبح والشيلان الخضراء، أهل القرية يدخلون وراءه ويتبركون به ويتحلقون حوله]

العرّاف: [يتمتم بكلمات كثيرة يظهر منها] باسم الليل والنهار والكلم الدوّار ما بين الخيرين والأشرار، أعرف، أعرف ما ستسألون عنه يا أهل قريتي الطيبين.

امرأة (1): سيدنا الشيخ، أريد أن أعرف...

العرّاف: [يقاطعها] قلت لك أعرف، ستسألينني، متى ستخرج أرضك بترولًا؟ عدّى على أصابعك عشر عشرات وفى تمام المائة يوم ستخرج أرضك بترولًا.

امرأة (1): وإن لم تُخرِج؟

العرّاف: إن لم تخرج فأنت ظالمة لنفسك؛ فاستغفري وراجعيني مرّة أخرى، كي أغمر جسدك ببركتي.

[المرأة تزغرد، تقترب أخرى]

امرأة (2): وأنا يا سيدنا الشيخ أسَأَلْ عن...

العرّاف: ابنتك، لم يمسسها شيطان ولا بشر، فقط دمها هربان، قولى لزوج ابنتك أن عليه ينتظر أيامًا أخرى، ويعاود المحاولة، وسيجدها بخير.

امرأة (2): ليبارك الله لنا فيك يا سيدنا، لكن إن لم يجدها بخير؟

العرّاف: سأهديك زجاجة من دم عشر أفرخ من الحمام الصغير، وعليك أنت بالباقي.

[تقبل المرأة رأسه، وهي تدعو له وتنصرف، يتقدم منه رجل (1)]

رجل (1): البترول..

العرّاف: خمس خمسات وهدية مشروطة للكبير، وهدية غير مشروطة لي.

رجل (1) كل طلبات الكبير واجبة التنفيذ، يأمُرُ وأنفّذْ، وطلباتك يا سيدنا فوق الرأس والعين.

رجل (2) وأنا يا سيدنا؟

العرّاف سبع سبعات.

رجل (2) وأصير غنيًا، [كالحالم] خذوا بيدي أجلسوني في مكان أحلم فيه برخاء اليوم الخمسين.

[تتكرر العملية مع الآخرين، يقترب الغريب من العرّاف]

الغريب وأنا يا شيخ؟

العرّاف تسع تسعــ... [ينظر إليه فيتوقف] أنت؟ لقد نُبّئتُ بقدومك، سمعتُ عنك، عمدتنا لا يستطيع مفارقتك، هل أدلك على مكانه الآن؟

الغريب: [مقاطعًا] أعرف الطريق.

رجل (2): [للعرّاف] ولكن يا شيخنا إذا كانت النبوءة...

العرّاف: [مقاطعًا] اسمع، ولكن لا، سنكمل النبوءات غدًا أو بعد غد، [مشيرًا للغريب] هذا ضيفنا ويجب أن نكرمه ولا ننشغل عنه.

[أهل القرية في حالة من خيبة الأمل والأسى، يقترب الغريب من شاهر العراف، يرمق كلٌّ منهما الآخر بقوة؛ ثم سرعان ما يهرب شاهر العراف بعينيه بعيدًا، تخفت الإضاءة تدريجيًّا، يظهر صوت ترديد الأطفال لبعض الترانيم الأندلسية، ثم يظهرون والشيخ بجوارهم في عمق الفضاء المسرحي، تتغير حالة العرّاف ويتحول للجنون والهذيان]

العرّاف: لا، اقتلوا هذا الصوت، اقتلوا هذا الشيخ، إنه كالشّبح يطاردني، يخيفني، اقتلوه، لا أستطيع أن أقرأ غيبكم في وجوده، [يهذى بكلمات غير مفهومة]

رجل (2): يا للحظ! لقد حضرته نوبة الهذيان، كان سيقول لي شيئًا.

امرأة (1): عوضك على الله، ننتظره غدًا أو بعد غد.

العرّاف: [ما زال يهذى] أنقذونى، لا، [يمد الشيخ يديه من مكانه وكأنه يخنق العرّاف] لا، لا تخنقني، لم أخن العهد، هم الذين خانوه، لا، لا، يجب أن أعترف أمامك بأنني أنا من خانك، أبعِد يديك عنى، هم الذين قتلوك، لا، أنا من قتلك.. لا.. أرجوك أبعِد البخور عنى، الولاية، العهد، أنا من يستحق الولاية، لا.. أنا من لا يستحق الولاية، أنت تكذب، لا، أنا من يكذب، أرجوك ابتعد عنى، سأموت.

الغريب: [للعراف] ماذا بك؟ [لا يجيب، ثم لرجل (1)] هل تأتى له هذه الحالة الغريبة كثيرًا؟

رجل (1): نعم، هو الآن في حضرة الجان.

[يظل العراف في هذيانه]

رجل (2): لابد أنهم يخبرونه عن الطالع، وإلا فكيف يعرف قراءته لنا؟

امرأة (1): هل تتفرجون عليه؟! هيا احملوه لداره.

امرأة (2): لقد سمعت أن من يسارع بحمله وقت أن تأتيه النوبة يصاب بكرامات كثيرة.

رجل (1): ياه، سأحمله أنا.

رجل (2): وأنا..

[يسارعون في حمله، وعندما يحملونه يسقط من بين أيديهم]

رجل (1): ياه، ماذا به؟ إنه لا يتحرك.

امرأة (1): لا يتحرك!

امرأة (2): لقد مات، مات شاهر العرّاف.

[صرخات متوالية للجميع]

رجل (3): [داخلًا] ماذا؟

امرأة (2): مات شيخنا ومولانا وكاشف أمرنا شاهر العرّاف.

[الجميع في حالة ذعر شديدة، الغريب مندهشًا]

الغريب: مات؟!

رجل (3): مات.

امرأة (1): ماتت بركة قريتنا.

امرأة (2): إنه الخراب قادم.

رجل (1): حتما سيحل الشر على هذه القرية الظالمة.

رجل (2): ماذا حدث لكي يموت؟ لم يفعل شيئًا! من سيعرف طالعنا بعد اليوم؟

رجل (3): إذا كان شاهر العرّاف قادرًا على التنبؤ بالطالع وقراءة الغيب، لماذا لم يستطع ذلك لنفسه؟!

رجل (2): السؤال فتنة كما كان يقول شيخنا العرّاف، وهاأنت تقع في شرك السؤال!

رجل (1): ليست هذه أول مرة، إنك تعارض العرّاف كثيرًا؛ لذا فأنت ممنوع من بركته.

امرأة (1): كف أسئلتك وأذاك عنا!

امرأة (2): وادعُ الله أن يغفر لك، ولنا.

[يستمر الأداء "مايم" والجميع يهاجمون رجل (3)، يظهر صوت الناي، ثم يدخل عازف الناي ليفاجَأ بما حدث، يتلفت حوله فلا يجد غير الغريب يقف منفردًا، يقترب منه]

عازف الناي: ماذا حدث؟ من فضلك صف لي فقد جئت متأخرًا.

[يستعد عازف الناي للكتابة]

الغريب: من أنت؟ ولماذا تسألني؟

عازف الناي: أنا لا أُسأَلُ يا بني، أنا فقط الذي أسَأل، هيا صف لي ما حدث!

الغريب: لن أصف شيئًا، ألم تجئ متأخرًا؟

عازف الناي: بلى.

الغريب: تحمل إذن نتيجة تأخرك.

[يخرج]

عازف الناي: لا يهم، يمكنني أن أقوم بتأليف هذا الجزء [يكتب وهو يتأمل المشهد] أهل القرية قتلوا العرّاف كما قتلوا الشيخ معلّم الأطفال قبلًا، إنهم لظالمون، لا، [يشطب الجملة الأخيرة] لا ينبغي أن أعطى أحكامًا، ويكفي أن أذكر أن أفعال القتل متكررة داخل القرية وغامضة أيضًا [يأتي الشيخ والأطفال من عمق الفضاء المسرحي ليتوزعوا على المنطقة الأمامية لخشبة المسرح حول أهل القرية والعرّاف] آه، وما زالت روح الشيخ تهيمن على القرية بكل ما فيها.

[إظلام تدريجي، مع ظهور صوت الناي من دون أن نرى عازف الناي وهو يعزف عليه]

5
ردَّ كلامـــك ودَعنـــا نحيـــا

[ما زال صوت الناي مستمرًا؛ لكن يتخلله هذه المرة ترديد الأطفال لبعض أشعار أبي القاسم الشابي، ثم تتابع بؤرة ضوئية صغيرة دخول عازف الناي متجهًا إلى مكانه]

الأطفال: [يغنون معًا] سأظل أمشي رغـم ذلك، عازفًا قيثارتي مترنمًا بغنائي

أمشي بروح حالم متوهج، في ظلمـــــــة الآلام والأدواء.

[يجلس في مكانه، صوت الناي مستمر بالرغم من توقفه عن العزف، يعود صوت ترديد الأطفال، والذي يقطعه أحدهم]

الطفل: سيدنا الشيخ.

الشيخ: نعم.

الطفل: هل سيدخل الكذابون النار؟

الشيخ: [مبتسمًا] الكذب حرام، والله يغضب من الكذابين.

الطفل: إذن سيغضب الله من سعفان كبير قريتنا ويدخله النار.

الشيخ: لماذا؟

الطفل: لأنه كذب وقال إن أبى مسافر، وقد قالت لي أمي إنه قتله.

الشيخ: لا تفكر في هذا يا ولدى، والدك سيعود، حتمًا سيعود ولو على هيئة غناء عصفور؛ لكن الأهم الآن هو الاهتمام بدروسك جيدًا.

[لحظة إضاءة متغيرة يعود بعدها الأطفال للغناء، ثم تكشف بؤرة إضاءة جديدة في مقدمه الفضاء المسرحي عن الشيخ مربوطًا إلي جذع شجرة، بينما يقف حارسان بجواره، وفى الاتجاه المقابل نجد ضاحي ملقى على الأرض ملطخًا بدمائه وبجواره تجلس أمه وهي تبكي، يدخل سعفان الكبير ومعه الغريب]

الكبير: أخشى يا سيدي أن يساورك شك في هذا؛ فمنزلتك عندنا هي نفس منزلة أبيك وجدك إلى آخر سلسال العائلة الكريمة؛ وكلّي ثقة أنك ستحب قريتنا كما نحبها.

الغريب: شكرًا [يتوقف أمام الشيخ] ما هذا؟ ألم يمت الشيخ في المعتقل قبلًا؟

الكبير: نعم، حوكم ومات منذ ما يزيد على عشرين عامًا.

الغريب: كيف تقول ذلك وهو مصلوب أمامي الآن؟

الكبير: هذا ليس الشيخ، وإنما هو رجلٌ يشبهُه، وهذه المحاكمة طقس تعوّد حراسي على تكراره كل عام للتسلية، لا تشغل بالك به [في العمق ومن خلال شاشة خيال ظل تَظهر يدُ كبيرة تشير بالبدء] ستبدأ المحاكمة الآن يا سيدي، هيا، لنشاهدها من أعلى، [يخرجان]

حارس (1): لنبدأ الآن، [يفرد أوراقًا في يده] التهمة الأولى للشيخ معلّم الأطفال هي تحريض الأطفال على الفكير فيما لا طاقة لهم به، وشغلهم بقضايا أكبر من سنهم.

الشيخ: الأمل فيهم إذ لا أمل في غيرهم.

حارس (1): [لحارس (2)] سجل اعترافه [يسجل حارس(2)] التهمة الثانية: يقول إنه يتنبأ بزوال دول الظلم، ولأنه يعيش في قريتنا، إذن فهو يقصدها بصفة الظلم.

الشيخ: لا يعلم الغيب إلا الله، ولكن المقدمات تؤدى للنتائج.

حارس (1): مقدمات؟! نتائج؟!

حارس (2): أنا أسجل.

حارس (1): الثالثة: يحدد طرقًا للإصلاح، ويولي العمل والعلم أهمية تفوق الشعائر الدينية، ويردد أنه إذا لم تنهض بلادنا على تكنولوجيا خاصة بها، سَتُداس بالأحذية.

حارس (2): بالأحذية؟!

حارس (1): سجّل إنه يسبّنا.

حارس (2): التهمة الرابعة ....

[يتحول الأداء لمايم، وننتقل إلى ضاحي والأم]

الأم: هل تعرف يا ضاحي أنني حلمت بالأمس أنك ستموت اليوم، يوم ولدت أنت مات أبوك، قالوا إنك ابن موت؛ لكني رأيتك في أحلامي تقهر الموت، رأيتك وأنت تنبش مقابر القرية وتحطم شواهدها لتخرج موتاها، تكلمهم ويكلمونك، تحبهم ويحبونك، ثم تأخذهم جماعات، وبيد كل واحد منهم شعلة نار، رأيتك تجرى أمامهم وهم وراءك، كان سواد الليل يتحول لنهار، نيران المشاعل تضيء الليل؛ فيصير نهارًا، الشوارع، البيوت، الحوائط، الأسطح، الأنهار، المزارع، الجبال، الناس تنسال وتتفتت، وتتحول لخيوط صغيرة تشكل موجة هائلة من الغضب، لماذا تركتني أعيش وهربت أنت إلى الموت؟ لا أستطيع حتى أن أصرخ، النيران تقترب منى، أبعِدها عنى يا ضاحي [صارخة] لا، [صمت] النيران تمر [تضحك بجنون] وأنا لا أموت، كتل البشر الميتة تحاول أن تحيا، إنهم يتشكلون من جديد ويتحولون لأطفال صغار يبنون مكان البيوت القديمة والمتهالكة بيوتًا جديدة، أنادي عليهم، يبتسمون ولا يردون، يرسمون مكان الشوارع شوارع جديدة، ويزرعون الأنهار بين البيوت، لهم أيادٍ سحرية تحوّل كل شيء إلى صورة بهيّة وعفيّة من صور الجنة، سلمى كانت هناك، وابتسمت لي،

وأخذتني من يدي وتمشينا بين الناس، نسينا العالم كله ونسيناه، طرنا، تسابقنا مع أسراب العصافير، وهؤلاء الأطفال الذين نبتت لهم أجنحة، للطيران طعم ورائحة ونشوى غريبة، كل ذلك لا يعني عندي إلا الجنة، لا أعرف لماذا أشعر في هذه اللحظة أنني أحلم وأنني أتمسك بالحلم حتى لا أصحو منه؟ أنظر يا ضاحي [تشير بخوف لمكان ما غير محدد] يوجد ثعبان ضخم له عدد هائل من الرءوس، إنه يفتح أفواهه جميعًا ويُصدر فحيحًا غريبًا ومهولًا، صرخت [تقع هامدة علي الأرض] أدرك تماما أنني أحلم؛ لكنني لا أستطيع أن أستيقظ من دون أن يتحقق الحلم [تتكوّر على الأرض وتتخذ وضعية طفل صغير نائم] هل تعرف يا ضاحي؟ لقد عدت طفلة صغيرة ليلة أمس ما زالت تحتاج لحضن أمها، تمامًا كما كنت تحتاج أنت إلى ضمة حضني.

[تضم الأم ضاحي إلي صدرها بتوتر، يستيقظ ضاحي من موته وكأنه يعيد تجسيد لحظة طفولته التي حكت أمه عنها]

ضاحي: أمي لقد كبرت وما زالت عيناكِ تراني طفلًا في يقظتك وفى أحلامك.

الأم: مهما كبرت؛ فأنت في عيني طفلًا ما زال يحبو ويحتاج إلى حليب صدري.

[حركة إضاءة متغيرة، تظهر سلمى بعدها وهى ترتدي زي العرس الأبيض وكأن الريح انشقت عنها]

ضاحي: [يستوقفها] سلمى، [يتحرك وما زالت آثار الدماء بادية على صدره] انظري، هذه أمي التي حدثتك كثيرًا عنها، تخيلي أنها لا تستطيع أن تتصور أنني كبرت وأنني سأتزوجك اليوم.

سلمى: هكذا دومًا الأمهات؛ لكن ما هذه الدماء على صدرك؟

ضاحي: لا أعرف؛ فكل يوم أرى دماءً جديدة على صدري، وكأنها تنبت مني.

الأم: ربما كانت هذه الدماء من عفاريت الحلم وسارقي الأحلام؛ فحاذر منهم.

ضاحي: ربّما، هيا يا سلمى لنجهز عُرسَنا، لم يبق سوى ساعات.

سلمى: كيف نتزوج ونحن لا نملك دارًا؟!

ضاحي: دار أمي جاهزة.

الأم: أخذوها يا ضاحي مني.

ضاحي: داري موجودة وسنجهزها،... أنا...

الأم: أخذوها أيضًا ولم يبق لنا شيء.

ضاحي: [كطفل يكاد يبكي] من الذي يأخذ ديارنا يا أمي؟! أمي...

الأم: أنت كبرت الآن؛ فلا تتصرف كطفل.

ضاحي: أنتِ على حق، يجب أن أجيب بنفسي عن السؤال.

[حركة إضاءة متغيرّة، نعود لمشهد محاكمة الشيخ وقد التفت حوله مجموعة من أهل القرية وطفلان صغيران]

حارس (1): وبناءً على ما تقدم قررنا اعتقال الشيخ؛ لأنّه يخّرب عقول الأطفال ويملأها بالكفر، يقلب الحق باطلًا والباطل حقًا، الشيخ إن بقى فيكم سيفسدكم، الشيخ فتنة فاتقوها واتقوه.

الشيخ: [ساخرًا] إنني لأعجب كيف استطعت أن ترص الكلمات بجوار بعضها كي تصيرَ جُملاً تؤثر بها على الناس، أنت موهوب في رص الكلمات؛ تمامًا مثل موهبتك في قذفنا بالحجارة، ومن عجبي أيضًا أنك تكلف نفسك عبء وجود أسبابٍ لاعتقالي وقتلي، تستطيع أن تفعل، ولن يتحرك سوى واحدٍ أو اثنين من أهل القرية ومعهم هؤلاء الأطفال، وكلهم مقدور عليهم.

[يضع الحارسان الأساور الحديدية في يد الشيخ]

طفل (1): أبي، لماذا يضع هذا الرجل الحديد في يديك؟

الشيخ: ذلك أمر من بيدهم الأمر يا بني، [يهم بالذهاب]

طفل (2): نريد أن نجيء معك.

الشيخ: لا، مكانكم هنا، إن كان أمر الله قد حان ورتبوا لي موتي؛ فأنا مستعد لمقابلة قَدَري؛ أما أنتم فقد خلقتم لزمن مقبل، [لحارس (1)] هل أمهلتني يا بني لثوان؟ [يتلفّت الشيخ حوله] أين شاهر العرّاف؟ [يتقدم العرّاف من بين الناس] اسمعني يا شاهر يا عرّاف، لقد عشت معي ما يزيد على عشر سنوات نؤدب الأطفال معًا، ونعلمهم ما تيسر لنا من العلوم والحكمة، كنت لي ولهم خير رفيق؛ فاخلفني وحافظ على الأمانة، الأطفال أمانة، والعلم الذي يسكن صدرك أمانة؛ فأخرجه للناس ولا تبخل به، إنهم أحوج ما يكون إليه، الأمانة يا عرّاف؛ ولا تنسَ أنك عندما جئت لي باكيًا مطرودًا لم أخن الأمانة وحافظت عليك، هذا وقت رد الأمانة يا شاهر، لن أوصيك على ابني صلاح وابن أخي زاهر.

[يمضى به الحارسان، وما زال يردد جملته الأخيرة "الأمانة يا عراف"، يتردد صداها عاليًا، الناس تطأطئ رءوسها وتمضى في حسرة، إظلام على "العرّاف" والطفلين "صلاح، وزاهر"؛ ثم إضاءة على بؤرة الأم، وضاحي، وسلمى]

ضاحي: وماذا أيضًا يا أمي؟

الأم: قتلوا أباك عندما قال لهم لا.

ضاحي: وماذا أيضًا؟

الأم: أخذوا خيراتنا، وتولوا الإنفاق علينا، ومن رفض قُتلْ.

ضاحي: وماذا؟

الأم: قتلوا العروس في ليلة زفافها.

ضاحي: سلمى؟

الأم: سلمى وكل سلمى.

ضاحي: وماذا؟

الأم: قتلوك أنت عندما قلت لا! وداسوني بأقدامهم واغتصبوا عروسك قبل قتلها.

ضاحي: [صارخًا] الثأر.

سلمى: ضاحي رُدَّ لي ثوب عرسي الأبيض.

[تظهر بقعة إضاءة حمراء على فستان عُرْسِها]

ضاحي: لا مفر.

سلمى: نظّف مَنِيَّ الغرباء من على جسدي يا ضاحي.

ضاحي: لا معنى لحياتنا بغير القوة.

سلمى: ضاحي! أطفئ حرائق غليلي وكراهيتي.

ضاحي: أخشى أن يمنعني الموت.

الأم: إن قلت لا، سأموت أنا أيضًا ألف مرة

سلمى: حررني فأنا ملطخة بالعار، مغروسة في الوحل والمهانة، أنفض غبار القهر عن عمري، رد لي الحياة والبراءة.

ضاحي: [صارخا بصوت أعلى] الثأر.

[يدور ضاحي حول نفسه دورات جنونية وهو يردد كلمة «الثأر»، يدخل طابور طويل من رجال ونساء القرية وهم يحنون رءوسهم جميعًا]

رجل (1): يا عم اتركنا وحالنا؛ فنحن لا طاقة لنا بهم.

ضاحي: نجرب.

رجل (2): نحن نحيا، نأكل ونشرب ونتزوج فماذا نريد غير هذا؟!

رجل (3): لا بد أن نعرف أولا؛ هل ما زلنا نحن أحياء أم لا؟

ضاحي: نريد الحياة وهم يحجبونها عنا، نقاتلهم حتى الموت.

امرأة (1): وهل سيتركوننا نقتل أحدًا منهم، اتركني بالله عليك فبين صفوفنا جواسيس لهم، يخبرونهم بكل ما نقوله ونفعله.

ضاحي: الثأر.

رجل (1): والله لقد راودتني نفسي عشرات المرات أن أكون جاسوسًا لهم حتى أجنّب نفسي الخوف من أن يشي بي أحد ظلمًا لديهم، ولقد ضبطت نفسي في الحلم أفعل ذلك أكثر من مرّة.

ضاحي: الغريب بكل حيلِهِ ومكرِهِ يتلاعب بنا، ومن ورائه عمدتنا وحراسه.

امرأة (2): يا عم أغراب أغراب، فجميعنا أغراب على وجه الدنيا، جئنا وسنذهب كآلاف غيرنا جاءوا وذهبوا.

رجل (2): لا تردد كلمة أخرى في وجهي، رد كلامك على نفسك ودعنا نحيا.

[يخرج الناس، يدخل الطفلان الصغيران، يقتربان من ضاحي]

طفل (1): اسمي صلاح، وأريد أن أكون معك.

طفل (2): وأنا اسمي زاهر، وأريد أن أكون معك أيضًا.

[يركع ضاحي أمامهما حانيًا رأسه، الأم وسلمى في حالة شرود كامل، مع الإظلام التدريجي ينطلق صوت ناي في أشد حالاته حزنا مختلطًا ببكاء ضاحي]

6
السؤال والبشـــارة

[الفضاء المسرحي شبه مظلم، صوت الناي مستمر إلي أن يدخل «عازف الناي» ليتأمل المشهد في تمهل، ثم يدوّنُ بعض الملحوظات، تضاء بؤرة على معمل صلاح وزاهر]

صلاح: [صارخًا] وجدتُها.

زاهر: لا أصدق! هل تحققّ الحلم؟

صلاح: ياه، كم أخشى أن يكون ما توصلت إليه حلمًا، كيف ننجح وفى ساعة واحدة فى إنقاذ هذا العالم ومد أجله لقرون أخرى؟

زاهر: [يشرح له] التراب، الهواء، الماء، الشمس، لحاء الأشجار، و.. عناصر أخرى تزخر بها كيمياء الطبيعة، لا أصدق أنني استطعت من خلالها الاقتراب من الحصول علي مصدر جديد للطاقة، إنها العظمة والشهرة.

صلاح: صدق أبى عندما قال لنا: ما أحلى الشهرة التي تأتي عن طريق العظمة؛ فهي خير من العظمة التي تأتي عن طريق الشهرة.

زاهر: ليذهب الله بمن قتلوه إلي الجحيم، طاردوه وعذبوه حتى مات.

صلاح: أبى لم يمت يا زاهر، انزل للشوارع والميادين، اسأل الناس ستجده حيًّا في قلوبهم، ناصحًا ومعلمًا، إنني أراه الآن يربت على كتفي ويهنئني باكتشافي.

[تظهر بؤرة ضوئية في العمق وبها الشيخ يبتسم]

الشيخ: راضٍ عنكما رضايَ عن نفسي، استمرَّا وستجداني دائمًا عبر الخاطر.

صلاح: والله إنني أراه.

زاهر: أنا أيضًا أراه في كل جملة أقولها، لقد طوَّف بنا بعلمه على كل شيء، العلوم، الأشعار، اللغات، التاريخ، لم يترك شيئًا إلا وذهب بنا إليه، والآن يجب أن نذهب بسرعة، لا بد أن نسجل اختراعاتنا وأفكارنا في مكتب براءات الاختراع، ولا تنس أن تأخذ معك أوراق المعادلات الكيميائية كلها.

[لحظة إضاءة متغيرة نرى بعدها مجموعة من أهل القرية يثرثرون]

رجل (1): أنا لا أمزح، لقد شاهدته، كان وجهه مشرقًا كشمس الصباح.

رجل (2): أنا لا أصدق أن يعود الموتى.

رجل (1): شاهر العرّاف رجل صالح وليس ميتًا عاديًا.

امرأة (1): لقد قال لزوجتي إنّنا سننجب ولدًا، وصدقت نبوءته.

امرأة (2): وأنا؟ ألم يبشرني أن طلمبتنا ستخرج بترولًا وقد أخرجت بالفعل؟

رجل (1): ألم يقل لكم سيدنا شاهر متى سيأتي؟

رجل (2): سيأتي الآن، لقد عرفت ذلك من كبير قريتنا.

رجل (3): وكيف عرف كبير القرية بأخباره؟

امرأة (1): لا تسأل، ألم تعرف أن السؤال فتنة؟! أنت لا تتعلم، كل الإجابات والأسئلة غير مهمة، ما يهمنا حقًا هو انتظار شيخنا شاهر العراف ليخبرنا بمستقبلنا؛ سننتظره عمرنا كله.

رجل (2): كلّنا يريد التبرّك به.

إمرأة (2): ونريد أيضًا البشارة.

[إضاءة متغيرة، مكتب براءات الاختراع، صف طويل من المخترعين أمام مسجّل الاختراعات، كل مخترع يحمل أوراق اختراعه، صلاح وزاهر في منتصف الصف، المسجّل يدون أسماء المخترعين ويأخذ ملفاتهم ويلقيها بإهمال فوق كومة من الأوراق بجانبه دون تمييز، والمخترعون في دهشة كبيرة]

مخترع (1): ستضيع أوراقي هكذا، لقد اختلطت بالأوراق الأخرى.

المسجّل: هذا عملنا، اذهب ليس لك صالح بهذا.

مخترع (1): إنها مجهودي طوال سنوات عمري، إنها...

المسجّل: لا داعي لتكرار مثل هذه الكلمات، مجهودي، سهر الليالي، فرحة الاكتشاف، العلم، الصالح العام، صدّعتم رءوسنا، إنني أسمع هذه الكلمات كل يوم وأنتم أغبياء ولا ترحمون، نحن بشر مثلكم ولنا طاقة، لماذا تنظرون إلى وكأنني خادمٌ في بيوتكم، أنا موظّف حكومة، أتدرون ما معنى موظف الحكومة؟!

مخترع (1): نعم، والله أدري..

المسجّل: وتدرى أيضًا أنني أعمل ثماني ساعات يوميًا بلا توقف في استقبال ما تسمونه اختراعات، أنا أعمل ولست عاطلًا مثلكم.

مخترع (1): عاطل؟!

مخترع (2): عاطل؟!

[تسري الكلمة بين الجميع كالنار]

صلاح: يا جماعة لا تؤاخذوه، إنه لا يقصد أية إساءة هذه لغته وهذا تفكيره.

المسجّل: [بقرف] كل يوم تأتي إلينا مجموعة من الحمقى، ويقولون على أنفسهم مخترعين، [بغلظة] هل الاختراعات لعبة؟! ماذا سيفعل نيوتن وأفلاطون إذا كنتم أنتم من سيكتشفون الاختراعات [ساخرا] هل سيلعبون الاستغماية؟!

مخترع (2): نيوتن وأفلاطون؟!

مخترع (3): [بدهشة] قل له إن نيوتن مات، وأفلاطون فيلسوفٌ وليس عالمًا.

مخترع (2): لا يا عم، قل له أنت، ألا ترَ الشرر الذي يتطاير من عينيه.

مخترع (1): [صارخًا] خلصونا، سأموت قبل أن أسجّل اختراعي.

[يسلم مخترع (2)، و(3) أوراقهما للمسجّل في هدوء]

مخترع (2): الحمد لله أن عندي نسخة أخرى من الأوراق، وإلا لفقدت سر اكتشافي تمامًا.

مخترع (3): وأنا عوضي على الله، سأعيد كتابة ما توصلت إليه من جديد.

مخترع (1): [للمسجّل] لو سمحت أريد أوراق اختراعي، أنا لا أريد أن أسجله.

المسجّل: نعم، لا تريد أن تسجّله، لقد سجلته وانتهى الأمر يا روح أمّك.

مخترع (1): تأدب ولا تناديني بأمي من فضلك، أنا لا أجيد التعامل بهذه الألفاظ.

المسجّل: لا تجيد، اذهب من أمامي الآن أيها الأبله، اذهب ولو زدت كلمة واحدة ستسمعُ مني ما لا تحب ولا ترضى.

مخترع (1): فقط، أريد أوراقي.

المسجّل: أنت حيوان لا تفهم، مجرد حمار صغير، مدّعٍ وعديم الفهم، هذا الشكل الذي تبدو به يليق بمهرج وليس بعالم؛ فالعمل الذي تصلح له هو مربّي كلاب أو حامل حقائب في محطة للسكة الحديد [صارخًا] إذهب من هنا.

مخترع (1): [صارخًا] أنا... أنا...

المسجّل: اخرس، صوتك لا يعلو على صوتي [ينادي] حمدان، حمود، حامد، [يدخل ثلاثة رجال لهم ملامح غريبة وقوة بدنية مفرطة] خذوه وعلموه كيف يتعامل مع موظّف حكومة مهم أثناء تأدية عمله.

مخترع (1): اتركوني، أرجوكم، سأنصرف، أنا لا أريد أوراق اختراعي، [يحملهُ الثلاثة ويخرجون، تسمع صرخة قوية ثم صوت عدّة طلقات نارية]

المسجّل: تضطرونني لأن أظهر لكم العين الحمراء؟ [يقف ويصدر كحّة قوية تنم عن سيطرته على الموقف، يتفقد بقية المخترعين] تخترعون، وتأتون باختراعاتكم لتزهقوا أرواحنا، أنتم مجرد مجموعة من الموهومين السفلة، أنتم زائدون عن حاجة المجتمع.

زاهر: [لصلاح الذي يهم بالكلام] دعه وشأنه؛ فلا بد أنها حالة هستيرية تنتابه وستمر.

صلاح: يبدو أنه يعاني من مركب نقص.

المسجّل: [يكمل] اختراعات [يأتي بحركات غريبة] أحدكم يأتي بخشبة طويلة ويقول إنها تطبخ، وآخر يحول التراب لذهب، والمصيبة الكبرى أن يداهمني أحدكم في بيتي وفى حجرة نومي قائلا [وهو يقلد المخترع الذي يحكي عنه]

لقد جئت لك عبر آلة الانتقال الجسدي التي اخترعتها كي أبرهن لك على صدقي، لقد جعلت الخضّة امرأتى الحامل تلد ابني وهو ما زال ابن ستة شهور، والله أخشى أن يطالبني الولد بعد أن يكبر بتعويض عن الأشهر الباقية، يا حشرات البشرية وزواحفها [يعدّل من وقوفهم وكأنهم أطفال] قفوا صفًا واحدًا، [يأمرهم] مخترعين، صفا.. انتباه، للأمام مدوا الذراعين، هذا تفتيش على الأظافر، [يتأمل أصابعهم ويضربها] قصّوا أظافركم وكفاكم أوساخًا، والآن للخلف در، نفذو يا حقراء.

[إظلام تدريجي، ثم إضاءة على أهل القرية ومعهم العرّاف]

العرّاف: وبعد أن متُّ وانتهيت، يشاء السميع العليم أن يحيينى مرّة أخرى، كانت جنازتي مهيبة تجمّع فيها أهالي قريتنا كلّهم وأهالي القرى الأخرى أيضًا، وعندما فتحوا باب القبر تناول الترابي حجرًا كبيرًا، وهشّم به عظام الموتى، ثم أنامني وسند رأسي بحجر آخر من الطوب اللبن، وعندما فرغ من جميع شئون الدفن خرج وحاول أن يغلق باب المدفن؛ فناديت عليه وطلبت منه أن يعطيني المفتاح، ولمّا سألني عن السبب قلت له إنني سأصحو من موتي بعد قليل؛ فدعا لي بالتوفيق وانصرف، ثم قمت في الصباح ولبست حلتي الجديدة [يشير لملابسه] وتعطرت؛ ثم سلمت على الملائكة وفتحت باب المقبرة، واستقبلت نسمات صباح جديد وهبه الله لي، وجئت لكم على الفور، هذه هي حكايتي.

رجل (1): سبحان الله، قادر على كل شيء.

العرّاف: أي نعم، سبحان الله القادر.

امرأة (1): لا بد أنك عرفت الكثير عن دنيانا في رحلتك هذه!

العرّاف: وأكثر من الكثير، حيّ.

رجل (2): التجلي يخترق بك الحجب.

العرّاف: والشفافية أيضًا، حيّ.

امرأة (2): قل لي يا سيدنا كيف ستصير الأمور في قريتنا هذه الأيام؟

العرّاف: الأمور في ميزان العدل، والعدل صفة من صفات الله يسبغها على عباده الصالحين.

رجل (3): لا نفهم يا سيدنا.

العرّاف: كبير قريتنا.

رجل (2): ماذا به؟

العرّاف: وضيفه الغريب الذي تخافون منه.

رجل (1): ما بهما؟

العرّاف: وأصحابهما وحواريوهما من الحراس والمريدين.

رجل (2): ماذا عنهم جميعًا؟

العرّاف: لقد تحدّث الطالع عنهم بما فيه الخير لكم ولقريتكم.

رجل (3): هل هذا معقول؟!

العرّاف: انتبهوا؛ فالسؤال يفتح ثغرة للشيطان، وأنتم مؤمنون، لا تنسوا أن الناس يستحقون حكامهم، وأن الاعتراض هو في الأصل اعتراض على مشيئة الله الذي يسر لكبيرنا الأمور وأتى به ليكون عمدتنا، هل تعترضون على مشيئة الله؟!

رجل (3): ولكن هذا الكلام يناقض كلام الشيخ معلِّم الأطفال.

[يرتعد العرّاف لمجرد ذكر الاسم ويصرخ]

العرّاف: أرجوكم، لا تذكروا اسم الشيخ معلم الأطفال أمامي، لقد عشت في خدمته قبل أن يموت عشر سنوات رأيت فيها ما رأيت.

رجل (3): وماذا رأيت!؟ لقد كان رجلًا صالحًا.

العرّاف: إن الله حليم ستار، هذا يكفي ولا تجادل.

رجل (2): نريد أن نفهم!

العرّاف: بوجودي بينكم اصطفاكم الله، هل تعرفون يا أصحاب النوايا الحسنة ماذا يعد لكم تلامذة الشيخ وأولاده؟

رجل (3): صلاح وزاهر؟ إنهما لا يبرحان منزلهما قط إلا ليأتيا بالطعام.

العرّاف: لقد اخترعا آلة رهيبة تشبه أمّنا الغولة التي كنا نسمع عنها في الحواديت، هذه الآلة تفرم كل من تراه، بعد أن تعذبه بخلع أظافره ورموشه وشعر رأسه، يا لطيف الطُف بنا، لقد أفضى لي بسرهما كبيرُ قريتنا وضيفُه، إنهما يخافان عليكم، أفلا تعقلون؟! هل تتركونهما يعبثان بكم كما عبث أبوهما؟ اثأروا لأنفسكم ولا تدفنوا رءوسكم في الطين، تخلصوا منهما فهذا أقرب لله وأنفع لمصالحكم.

[تخفت الإضاءة، بؤر ضوئية على كل واحد من أهل القرية وهو يدور حول نفسه في ذهول، والعرّاف يدور بينهم بمبخرة وكأنه يوجّه فكرهم الوجهة التي يريدها، في المستوى الأعلى يقف الكبير والغريب وهما يبتسمان في رضا لشاهر العراف]

رجل (3): الشيخ معلّم الأطفال؟! هذا لا يصح.

رجل (2): نحن نحب صلاح ونحب زاهر؛ لكن...

رجل (1): أنا أصدق العرّاف، لقد قال لزوجتي...

رجل (3): أشعر أن اليوم هو آخر أيام الدنيا.

إمرأة (2): تصرفوا بأي شكل، وإذا كان في صالحنا حقا الخلاص منهما؛ فلنفعل، نريد أن نعيش.

رجل (1): نعم، كل ما نطلبه أننا نريد أن نعيش ولا شيء غير ذلك.

[تخفت الإضاءة تدريجيًّا مع تصاعد صوت همهمة الناس وكلماتهم غير المكتملة ولا المفهومة]

7

جبــال الثلــج

[بؤرة ضوئية على طبق زجاجي ممتلئ لنصفه بالمياه، وهناك قطرات مياه تسقط داخله من أعلى بإيقاع منتظم، صوت نهجان، نعيق بوم، فرخ حمام أبيض يحط على الطّبق، وقبل أن يشرب يلتهمه ثعبان ضخم بعدة رءوس ويختفي بسرعة، ثوان ثم يعَود الثعبان ليرميه بجوار الطبق ميتًا، تمتد خطوط ضوئية تصنع طرقًا تصل للطبق، يدخل من إحداها رجلٌ وهو يزحف قاصدا الماء، ثم يدخل آخر، ثم ثالث، ثم تتزايد الأعداد، يحدث عراك شديد بين الجميع من أجل الفوز بالماء، يتكون طريق طويل من الجثث كنتيجة لهذا العراك، صرخة لسلمى يعقبها ظهورها داخل بؤرة ضوئية في العمق وحولها مجموعة من الأشباح يتخطفون تمزيق ثيابها وهي تواصل المقاومة والصراخ، صلاح يقف على مقربة منها، ويمد لها يدهح لكنه لا يستطيع الوصول إليها]

صلاح: سلمى..

سلمى: تحرّك يا صلاح..

صلاح: لا أستطيع، أشعر بخمول غريب، قدماي لا تستجيبان لي..

[تزداد صرخات سلمى، تصبح شبه عارية، إضاءة على طبق زجاجي آخر تتساقط داخله من أعلى عملات ذهبية، يظهر صوت ضخم مقهقهًا ومهيمنًا على فضاء المسرح]

الصوت: هذا جزء من ثمنها.. استمروا.

سلمى: [صارخة] لا.

[تهجم مجموعة الأشباح على سلمى، صرخاتها أنين مكتوم، تنفجر بؤرة حمراء في أعلى مكان بالفضاء المسرحي؛ حيث نجد بداخلها الكبير والغريب، وهما هذه المرة يلعبان الشطرنج]

الكبير: آه، إنها ورطة كبيرة.

الغريب: لا مفر من التضحية بالحصان والطابية والفيل في مقابل أن يبقى الملك محتميًا ببعض العساكر..

الكبير: وأنا لا أمانع، المهم أن يبقى.

[إظلام، يعود الصوت مرّةً أخرى مخاطبًا الأشباح]

الصوت: لم يبق إلا العِرْضُ.

صلاح: آه، أطرافي لا تتحرك، الصداع، الاكتشاف، الموت.

الصوت: [ساخرًا] والعِرْضُ لو تعلمون عظيم.

[تهجم الأشباح على سلمى مرّة أخرى في محاولة لاغتصابها، وبعد لحظات من مقاومتها تخور قواها، ثوان ثم تقف الأشباح وهي تشيرون بعلامة النصر "V"، تتوقف العملات الذهبية المتساقطة عن السقوط]

سلمى: آه، صلاح، أنا أموت غدرًا وقهرًا.

[صلاح يهتز للأمام وللخلف وكأنه يقف على قدمين زنبركيين، أو تحوّل لتمثال تتصاعد منه أصوات الطرقات النحاسية، والتي تعلو درجة بدرجة لتشكّلَ انفجارًا صوتيًا، ثم إظلام مفاجئي، تتبعه إضاءة بيضاء على معمل صلاح وزاهر وهما يستيقظان من نومهما في حالة ذعر]

صلاح: سلمى، أعوذ بالله.

زاهر: ماذا يا صلاح؟

صلاح: لا شيء، لا شيء يا زاهر، ألم تحلم بكابوسٍ ليلة أمس؟

زاهر: لا..

صلاح: ألم تكن تشاركني أحلامي؟

زاهر: يبدو أنّهمْ فرقوا بين أحلامنا، كما يفّرقون بين الإنسان وحواسه، خيرًا؟

صلاح: كابوس فظيع، أرجوك، لا تسألني أن أرويه لك، أتمنى أن أنساه.

زاهر: هوّن على نفسك، أنا أيضًا أرى في منامي ويقظتي كابوسًا يكاد يصرعني، أرى أنى أسير في متاهة كبيرة، تطاردني فيها الأفاعي والأشباح وأكوام القمامة، وأنا أجري والدم يتقافز من كل مكان بجسدي، وإذ بنورٍ يضيء الدنيا كلّها يظهر داخله وجه عمي الشيخ وهو يمدُّ لي يده وينقذني من كل هذا، ثم فجأة أجدني بين ذراعي شبحٍ مخيفٍ [يظهر كما لو كان يحاول إبعاد كابوس جديد عنه] أول مرّة رأيت فيها هذا الكابوس أصابني الرعب، ومع تكراره اعتدت عليه بعد ذلك، هل أجد عندك تفسيرًا؟

صلاح: أنت أقدر مني على تفسير الأحلام؟

زاهر: يقال إن من يرى الميّتْ في الحلم سيموت مثله.

صلاح: كلّنا موتى يا زاهر، فلا تخف من شيء، آه لو كنا نستيقظ من موتنا وننتبه. [يضحك بسخرية] معادلة غريبة، نحن كأحياء، موتى؛ بينما الأموات ما زالوا أحياء [يتساءل] كيف يحدث ذلك؟!

[إظلام، إضاءات سريعة متلاحقة على أماكن مختلفة من الفضاء المسرحي تظهر كما لو كانت متوالية صور تشكيلية؛ لكنها جميعًا تعبر في مضامينها عن قهر وانسحاق أهل القرية، تختفي هذه البؤر جميعًا؛ لتظهر بؤرة بها الشيخ وهو يجلس مع الأطفال، من بين هؤلاء الأطفال "صلاح، وزاهر" اللذان يجلسان أمامه]

الشيخ: خذوها وصية مني؛ لا تركنوا إلى النعيم الجاهز كي تفلتوا من الذل.

[يظهر خط ضوئي مستقيم واصلاً الكالوس الأيمن بالأيسر، وذلك بالقرب من مقدمة خشبة المسرح، يدخل ويخرج عبره أهل القرية فى متوالية مستمرة رتيبة]

رجل (1): [يمر] البترول [حالما] ياله من حلم! سنستحم بالذهب كالأمطار [ينظر لملابسه] سأستبدل هذه الملابس الرّثة ببذلة آخر صيحة في عالم الأناقة، لحظتها أستطيع أن أراقص أجمل بنات الدنيا، وأن أزن ليلتها بقناطير الماس والعطر.

الشيخ: سينفد، المستقبل له مصادر طاقته الجديدة.

صلاح: [طفلًا] وكيف سنعرفها يا أبي؟

الشيخ: العبقرية تسعون بالمائة منها عمل، ولا شيء يستعصى على العلم، ابحثوا عن مصادر طاقتكم الجديدة، وعن موارد مائية جديدة قبل أن تجف مصادركم الموجودة.

زاهـر: [طفلاً] تجف؟ هل يمكن أن يحدث ذلك؟!

[يمر رجلُ آخر وهو يتمشّى في دلال حاملًا في يده ورقة، يدخل الكبير من الجهة الأخرى فيتقابلان في منتصف المسافة]

رجل (2): [يمد له الورقة] هذا هو التنازل به كل ما أملك وهو كثير، أريد مراعاة ذلك في الصرف على حصتي؛ فعشر آبار ليست كبئر واحدة.

الكبير: نعرف.

رجل (2): شكرًا.

[يخرج رجل (2)، يدخل الغريب ويقترب من الكبير هامسًا]

الكبير: أهلًا، جئت في الوقت المناسب.

الغريب: بلادكم غريبة!

الكبير: وماذا يهمك من غرابتها؟! خذ [يناوله نصف التنازل بعد أن يقطعهُ] هذا نصف التنازل فنحن شركاء.

الغريب: على رأيك، المهم أن نجدها دومًا جاهزة لأن تكون مطية لنا ولمنتجاتنا.

[يخرج كلٌ منهما من اتجاه، تدخل امرأة وهى تحمل شاشة عرض كبيرة فوق رأسها وتزغرد فرحًا بها، تظهر وكأنها تحادث شخصًا وهميًا]

امرأة (1): تعالَ وتفرّج عندي، لا تخف زوجي مسافر، سترى العجب، ويمكنك أن تحكم بنفسك [تخرج]

رجل (3): [داخلًا وهو يحمل "ساندوتش" كبيرًا] شاطر ومشطور وبينهما طازج، آه، أتمنى أن يكون هذا الطازج بالخلطة السحرية.

[يلتهم الساندوتش بلذة كبيرة وهو يخرج]

المرأة (2): [داخلة وهي تتأود بفستانها الضيق، يتبعها رجل ينظر إليها باشتهاء] جميل، فاتن، مبهر، يبدو واسعًا بعض الشيء، لا يظهر كل مفاتني، في المرة القادمة يجب أن يكون من البراندات الأكثر سخونة، [يخرجان]

[يدخل حارس (1)، و(2) وهما ممسكان بطرفي لجامين لرجلين يحبوان أمامهما (رجل 4، ورجل 5) وكأنّهما كلبان، أهل القرية يلتفون من حولهما في خوف]

حارس (1): [لأهل القرية] كلب، من لا يستطيع أن يدفع من بتروله أو أرضه أو حتى عرضه؛ فليصبح كلبًا نتسلى به ويلهو به أطفالنا مقابل طعامه وشرابه.

رجل (4): ليس ذنبنا، نحن فقراء ولا نملك شيئا.

حارس (2): ليس ذنبنا، عالمنا الجديد ليس به مكان للفقراء ولا للكسالى، كيف لا تُخرِج أرضكما بترولًا ولا قمحًا ولا شعيرا؟! كيف تعيشان إذن؟! هل تتسولان؟! نحن لا نريد لكما التسول؛ لذا نوظفكما ككلبين في حراستنا وتسلية أطفالنا؛ فهل تعتبران هذا ظلمًا لكم؟! يا لوقاحتكما، أنتما لا تقدران النعمة التي ترفلان فيها!

رجل (5): ولكنني أعرف مهنًا كثيرة، يمكنني أن أعمل نجارًا أو خياطًا أو حتى جامع قمامة بدلاً من عملي ككلب.

حارس (1): لدينا آلاف الماكينات التي تقوم بذلك، وبالمجان.

رجل (4): رغم أنني فقير إلا أن أبي استطاع أن يعلمني في الجامعة، أنا مهندس.

حارس (2): لدينا عشرات الروبوتات المبرمجة كأفضل مهندسين على وجه الأرض.

رجل (6): أنا أيضا فقير لكنني طبيب.

حارس (1): لا نريد أطباء، نتلقى علاجنا خارج هذه البلدة اللعينة.

رجل (7): وأنا شاعر ومفكّر.

حارس (2): [مغتاظًا] مفكّر؟! لو تفوهت مرّة أخرى بهذه الكلمة أمامي لن أكتفي بقتلك بل سأمثل بجثتك وجثث أولادك.

حارس (1): هيا بسرعة، نريد أن ننتهي من أعمالنا.

حارس (2): [بسخرية وهو يشد اللجام بقوة] هيا يا كلبيَّ المطيعيْن؛ لكن حذاري أن تنبحا عندما تريان إناثكما بين كلاب الشوارع الضالة.

[يخرجون جميعًا، يدخل رجلان آخران وامرأه، يقف الشيخ تاركًا الطفلين، يقترب منهم]

رجل (6): [للشيخ قبل أن يتكلم] كفى مواعظ يا شيخ، إذا كان مقدرًا للبترول أن ينفد من بلادنا فلينفد، ولأراضينا أن تبور فلتبور، سنجد أشياءً كثيرة غيره، أحيِني اليوم وأمتني غدًا، ثم إن بلادنا مليئة بالخيرات.

المرأة (3): أتوَّد أن تخرّب عقولنا كما خرّبتَ عقول الأطفال، يا لبجاحتك! [الرجل (6)] لقد أمرت أولادي بعدم الاستماع إليه أو حضور مجلسه.

رجل (7): يظن نفسه قديسًا أو نبيًا، هذا الزمن ليس به أنبياء، كفى هراءً، ولا تتعب نفسك، قرارنا بالبيع ينبع من عقولنا ولن يغيره من هو مثلك.

[يخرجون، الشيخ في ذهول، يدخل رجل آخر يلحق بهم]

رجل (8): [بمجرد رؤيته للشيخ] يووه، رجل المواعظ يقطع عليَّ الطريق مرّة أخرى [يشير بيده لأعلى] انظر العصفورة [يجرى خارجًا] إلحقوني.

[تلاشٍ تدريجي لكل البؤر؛ ثم يظهر معمل "صلاح، وزاهر"]

زاهر: لماذا نتذكر كل ذلك يا صلاح؟! هل نعذب أنفسنا؟! أنا يائس من كل شيء، أنا لا أعرف شيئًا غير اختراعي، فإن أماتوه مُتْ معه.

صلاح: اليأس أشد من الكفر فلا تيأس، لا بد للأحزان من آخر.

زاهر: صدقني لا آخر لما نحن فيه غير الخراب، سنموت كما مات الشيخ كمدًا، أهل قريتنا كجبال الثلج لا يتحركون، فقط تفوح منهم رائحة الصقيع والموت.

صلاح: إنهم لا يتعلمون إلا بعد أن يذوقوا المرار أو يموتوا.

[يعود الشيخ لبؤرته، يجلس أمام الطفلين اللذين يبدآن في ترديد أغنية احتجاجية قصيرة من أشعار أمل دنقل "أغنية الكعكة الحجرية"]

الطفلان:[يغنيان] أيها الواقفون على حافة المذبحة

أشهروا الأسلحة

سقط الموت

وانفرط القلب كالمسبحة

الشيخ: اعرفوا أنفسكم، وتعلموا كيف تفكرون!

[إضاءة خفيفة على معمل "صلاح، وزاهر"]

صلاح: عرِفنا يا أبي كيف نفكر، لكن أهل قريتنا لا يعرفون.

[تزداد صرخات أهل القرية، يعود خط الضوء، يدخل أهل القرية وهم محنيُّو الرءوس، يقفون كالأوتاد]

الشيخ: اجهروا بالحقيقة أمام أنفسكم.

رجل (1): الحقيقة؟

رجل (2): الحقيقة؟!

امرأة (1): كيف ذلك؟

رجل (3): ما معنى هذه الكلمة؟!

[يتصاعد تكرار الكلمة تدريجيًا حتى تشكل انفجارًا صوتيًّا، يدخل الكبير والغريب فيصمت الجميع]

الكبير: ما هذا الذي كنا نسمعه؟

رجل (1): لا، لا شيء، يبدو أنه مجرد خاطر أو هاتف مرَّ برءوسنا.

الكبير: عن أي هاتف تتحدثون؟! دعوا هذا الهراء جانبًا واسمعوني، يؤسفني إبلاغكم بنفاذ مواردكم من المياه العذبة.

[يأتي صلاح وزاهر وهما يلهثان]

صلاح: [صارخًا] لا، إنه يكذب، لا تصدقوه، لم تنفد، لكنها حتى وإن نفدت بالفعل معنا الحل، يمكننا تحلية مياه البحر وري أراضينا بها [يشير لأوراق اختراعه الخضراء] الحل في يدي، هل يسمعني أحد؟ أم أنني أكلم نفسي؟ [يدور صلاح بين الناس وهم لا يشعرون به] أرجوكم.

[أهل القرية في حالة توهة كبيرة وعدم مقدرة على التركيز]

زاهر: الناس لا تسمعنا يا صلاح.

صلاح: اسمعوني، أنا صلاح ابن الشيخ معلم الأطفال، إنهم يمارسون علينا لعبة جديدة من ألعابهم القذرة التي حذركم أبي منها قبل أن يقتلوه.

زاهر: إنهم لا يروننا ولا يسمعون تحذيراتنا يا صلاحو ألم أقل لك ذلك؟

الكبير: ما لكم تصمتون هكذا؟ [آمرًا] تكلموا.

رجل (2): ولكن..

الكبير: [صارخًا] ولكن ماذا؟

الغريب: [للكبير] لا تخيفه فهو منّا ولنا [للرجل] قل ماذا تريد؟

رجل (2): الأنهار.

الغريب: جفّت، وما تبقى من مياهها حوّلنا مجراه وبعناه لبعض البلاد الصديقة كي نشتري لكم الطعام والدواء.

صلاح: تحولون مياه الأنهار ونحن نموت هنا من العطش.

زاهر: اسمعونا أرجوكم، لدينا الحلول، توجد مياه، وتوجد أيضا مصادر طاقة جديدة بديلة للبترول.

صلاح: وتوجد طرق جديدة لاستغلال مياه البحر في الزراعة، كونوا معنا وسنسترد أنهارنا وننمي مواردنا... أنت [لأحدهم] هل تراني؟ وأنت.. [لآخر] هل تسمعني؟ [صارخا] هل تسمعونني؟!

الشيخ: [من مكانه مبتسمًا بتحسر] صمت، سكات بطول العمر، بئس الأقوام التي لا تتعلم! فهم كالفئران بلا ذاكرة.

[إظلام على الشيخ والطفلين، يظهر صوت ترديد الأطفال لأغنيتهم القصيرة مختلطًا بصوت خافت للناي يشبه الأنين كخلفية للمشهد حتى نهايته]

رجل (3): [مترددًا] ولكن...

الكبير: ما قصة «ولكن» هذه التي ترددونها كثيرا؟

الغريب: اتركهم يتحدثون بحرية، يجب أن يعرفوا كل ما يريدون.

رجل (3): والآبار؟

الغريب: إذا كانت الأنهار قد جفّت، فما بالك بالآبا؟! لقد جفت هي الأخرآ، ألا تفهمون؟!

رجل (3): والبترول؟

الغريب: ما تبقى منه لا يكفى ثمنه لشراء شربة ماء.

امرأة (1): وكيف لنا أن نأكل ونشرب و....

الكبير: [يقاطعها بحدة] هذا شأنكم.

امرأة (2): ولكنكم أنتم الذين تصرفون علينا وتسيرون أحوالنا منذ سنوات.

الغريب: لم تعد لنا طاقة لهذا، لقد تكلفنا فوق طاقتنا ولن نستطيع أن نكمل [ثم بصوت تملأه المساومة] إلا إذا...

صلاح: [بانفعال] لا، ارفضوا، ستصبحون عبيدًا.

زاهر: ستداسون بالأحذية.

صلاح: صدقوني هم جبناء وأنتم برغم تفرقكم من الممكن أن تكونوا الأقوى.

الغريب: هناك حل واحد.

الجميع: ما هو؟

الغريب: [متدخلاً بسرعة] جبال الثلج.

الجميع: جبال الثلج؟! ماذا يعني هذا؟!

الغريب: إنها كتل ضخمة من المياة العذبة موجودة بكثرة في القطب الجنوبي، وأقل جبلٍ فيها يكفى لسد احتياجات مدينه كبيرة من المياة العذبة لشهورٍ طويلة.

امرأة (1): ولكننا.

رجل (1): لا نقدر أن ..

رجل (2): لا نستطيع ..

امرأة (2): نحن ولايا..

رجل (3): وأنتم الذين تتولون أمرنا..

الكبير: كفوا عن هذا واذهبوا الآن وإلا قتلتكم جميعًا، يا حراس!

الغريب: يا كبير، لا تفعل هذا بهم؛ فهم أهلنا وكفى ما هم فيه وما نحن فيه، سنتولى نحن عنهم هذه المهمة.

الكبير: ولكن يا سيدي الغريب...

الغريب: لا تقل شيئًا، إنهم مثل قططي الأليفة وأنا أحبهم.

[يمسك الكبير بيد الغريب ويمدها أمام رجل (1)]

الكبير: [صارخًا في رجل (1)] قبّلها! [يهم رجل (1) بتقبيلها]

صلاح: [بعنف] لا..

زاهر: لا تفعل يا رجل.

صلاح: أرجوكم، اسمحوا لأنفسكم أن ترونا.

[تدخل مجموعة من الحراس، يحمل أحدهم صينية موشاة بالذهب، موضوعًا فوقها كوب زجاجي مليء بالماء العذب، يدور صلاح وزاهر بين الناس وهما يصرخان بكلماتهما، يعلو صوت الناي وترديد الأطفال لأغنيتهم، ينحني رجل (1) أمام الغريب ويقّبل يده، يناوله الكبير شربة ماء من الكوب الزجاجي، يتكرر ذلك مع الذي يليه، والذي يليه، تظهر أصوات شهقات بكاء مكتومة لصلاح وزاهر، يظهر عازف الناي داخلًا وهو يعزف على نايه، يتوقف عن العزف بسرعة ويخرج اللوح والقلم، يحاول أن يسأل أهل القرية عما يحدث؛ لكن لا يوجد من بينهم من يجيب، جميعهم يتسمرون في أماكنهم كتماثيل، يمد عازف الناي يده ويلمس أحدهم؛ فتصدر عنه أصواتا نحاسية، يكرر عازف الناي الأمر مع الآخرين، تتزايد طرقات الأصوات النحاسية]

عازف الناي: ما الذي حدث هنا؟! كيف وصلتم لهذا الشكل؟! هل مات أحد، هل يمكن لأحدكم أن يخبرني عما حدث لأدونه في مذكراتي للأجيال القادمة؟ لماذا لا تردون علي؟!

[لا أحد يشعر به، الكل تحول لتماثيل نحاسية مجوفة، إظلام تدريجي]

8
آخـــر أيـّــام الدنيـــا

[إضاءة بيضاء خافتة؛ الأطفال يرددون جدول الضرب بصوت خافت، الشيخ يتجوّل حولهم فى هدوء، يدخل «شاهر العرّاف» شاهرًا سكينًا في يده، يقترب من «الشيخ»، يطعنه طعنات كثيرة متتالية، بينما الشيخ يبتسم في وقار ولا يموت، ينظر «العرّاف» إلى السكين فى دهشة، يلقيها بعيدًا، يخرج مسدسًا ويصوب مجموعة طلقات إلى صدر «الشيخ»، ابتسامات «الشيخ» مستمرة، يرمي «العرّاف» المسدس ويحاول خنق الشيخ، يدُه تنفك من حول رقبة الشيخ لتلتف حول رقبته هو، يصرخ ويدور حول نفسه كالثور الهائج داخل المكان، تزداد أصوات ضحكات الشيخ وترديدات الأطفال، إظلام مفاجئ، ثم إضاءة على الكبير والغريب، وأمامهما العرّاف وما زال يخنق نفسه]

الكبير: [صارخًا] شاهر يا عرّاف، ماذا بك؟ أتحلّم وأنت تقف على رجليك؟!

العرّاف: آسف، يبدو أن الأحلام تزورني هذه الأيام في كل حالاتي.

الغريب: وبِمَ كنت تحلم هذه المرة؟ بالثروة؟ بالجاه؟

الكبير: وربما بعمادة القرية!

العرّاف: لا، لا يمكنني أن أحلم بمثل هذا بالطبع وأنتما أمامي.

الكبير: لماذا؟ هل نمنع أحلامك؟

العرّاف: لا، ولكن يمنعني حيائي وفضلكما عليَّ.

الغريب: أخشى عليك انقطاع الحياء يومًا يا شاهر.

الكبير: لا تخشَ ذلك [ساخرًا] الكلاب لا تعضُّ أصحابها ومطعميها.

[يضحكان، يدخل أحد الحراس]

الحارس: سيدي لقد أتى الحراس باثنين من..

الكبير: [مقاطعًا] أعرف، أدخلاهما فورًا.

الحارس: أمرك يا كبيرنا؛ تفضّلا.

[يدخل صلاح وزاهر وهما مقيدان بالسلاسل، وبمجرد أن يراهما الكبير يصرخ فجأة]

الكبير: ما هذا؟ سلاسل، من الأحمق الذي فعلها؟ لا بد أن يموت من فعل ذلك أو يصلب، أو على الأقل ينفى خارج البلاد، كيف يسلسل علماؤنا ومفكرونا بمثل هذه السلاسل؟! ماذا حدث للدنيا؟!

الحارس: ولكن يا سيدي أنت من أمر.

الكبير: [مقاطعًا] اخرس واخرج الآن، حسابك معي فيما بعد.

[يخرج الحارس، يفك الكبير قيودهما بنفسه]

الغريب: أرجو أن تقبلوا أسفنا، تفضلا.

صلاح: لا يهم أي شيء، ما يهمنا هو أن نعرف لماذا نحن هنا؟

الكبير: بيتي هو بيت أهل القرية كلّهم، أنتما في بيتكما الآن.

زاهر: [ساخرًا] إذن يمكننا أن نخرج من بيتنا، هيا يا صلاح.

الغريب: انتظرا، لقد سمعنا عن اختراعيكما في الزراعة بالماء المالح، وأيضًا عن علاج السرطان ومصادر الطاقة الجديدة؛ لذا... [يصمت]

الكبير: أريد أن أقول إننا نريد أن... [يصمت]

الغريب: أن تسافرا إلى الخارج لتتمكنا من إكمال أبحاثكما، هناك معامل حديثة جدًا وامكانيات مادية هائلة وبحثية متطورة، بالإضافة إلى فريق بحثي متكامل؛ سيكون تحت أمركما.

صلاح: لقد اكتملت أبحاثنا هنا، ولم يبق إلا تطبيقها، والمساعدة الوحيدة؛ إن أردتم؛ هي التطبيق.

الغريب: للأسف، لا نستطيع تطبيقها وتنفيذها هنا، لا البيئة ولا الموارد بجميع أشكالها تسمح؛ لكن في الخارج كل الأمور مهيأة، ما رأيكما؟

صلاح: لا.

الغريب: لا؟! [للكبير] ما معنى هذه الكلمة؟ هل هي موضة رفض أم مـاذا؟!

لم نتعود على مثلها من قبل!

زاهر: موضة رفض، هل رفض أحد قبلنا أن... ؟

الكبير: لا، بالطبع لم يرفض أحد عرضًا لنا.

العرّاف: ومن يستطيع أن يفعل ذلك؟!

[تظهر بؤره ضوئية والشيخ داخلها مقيدًا بالسلاسل]

الشيخ: أنا ... أنا لن أستطيع أن أبيع أطفالي، كل حرف أعلمه لهم هو خطوة فى طريقهم للمستقبل [يدخل إلى البؤرة حارسان، يضربان الشيخ بالسوط] اقتلوني، أعرف أن نهايتي على أيديكم، هذا موقفي ولن أزيّف عقول الأطفال، كفى ما أصابنا من تزييف وما صرنا إليه من وجع.

حارس (1): أنت رجل بائس، ترفض منصب المفتى العام للقرية وتقبل بالسجن في هذا المكان الحقير.

الشيخ: ما يمكن أن نصفه بالحقارة هو ما تفعلونه معي أنتم وسادتكم!

حارس (2): لقد أراد كبيرنا أن تكون لك مكانه عظيمة؛ تلعب فيها بالذهب، وتتبختر في نعيمها كالطاووس.

الشيخ: الموت أفضل مّما تدعونني إليه.

حارس (1): ألم أقلها؟ أنت يا رجل عنوانٌ صريحٌ للبؤس والخيبة.

[إضاءة متغيرة، وعودة لـ"صلاح، وزاهر" مع العرّاف]

العرّاف: الباب الذي يأتي لكما منه الريح سداّه واستريحا، لا تركبا رأسيكما، فى الخارج مال وشهرة ونساء، و...

صلاح: أسكت يا أتعس الناس، لا أعرف كيف انخدع أبى فيك طوال مدّة خدمتك له؟!

العرّاف: الكلام عن الماضي لا فائدة منه، أمامكما طريقان أولهما يوصل لكنوز الملك سليمان والآخر للزنازين، فماذا تختاران؟

زاهر: [بعزم] الزنازين.

العرّاف: عنيدان كأبيكما الشيخ تمامًا، أخشى عليكما نفس المصير، فكّرا فما زال أمامكما بعض الوقت!

صلاح: الزنازين.

الكبير: فكّرا!

[عودة للشيخ ومعه الكبير والغريب]

الشيخ: فكّرت.

الكبير: وماذا اخترت؟

الشيخ: الموت.

الغريب: أنت مجنون يا شيخ؟! مجنون، أترفض الـ...

الشيخ: [مقاطعًا] أرفض الدنيا كلها لو جاءت من هذا الطريق.

الكبير: وما لَه هذه الطريق؟! نحن نرفعك إلينا، نجعلك صاحبًا لأكبر منصب كنت تطمح إليه في مقابل أن تترك هذه الغوغائية التي تثيرها ومِن ورائك الأغبياء مِن عامة الشعب.

الشيخ: وأنا أرفض.

الغريب: [صارخًا] ستموت، هل تعرف هذا؟ نحن نمنح فرصة واحدة.

الشيخ: لم يعد الجسد مهما، اقتلوه وستنبت من فوقه بعض الأفكار، هل تستطيعون أيضا قتل الأفكار؟!

الغريب: [صارخًا] يا حراس، ارجموه حتى يفيق إلى عقله؛ أو فليَمُت!

[إظلام ثم عودة إلى "صلاح، وزاهر" بمفردهما، مقيديْن داخل الزنزانة]

صلاح: أشعر بدوار شديد؛ كأنني فوق ظهر سفينة.

زاهر: لماذا لا يقتلوننا بدلًا من هذا التعذيب؟!

صلاح: حتى نستجيب لهم، ولكن أين أوراق الاختراعات؟

زاهر: معي تحت قميصي، صلاح.. أريد أن أقول لك شيئًا، لماذا لا نفكر أن ..

صلاح: أن ماذا؟

زاهر: [بتردد وخجل شديد] أن نستجيب...

صلاح: أن نستجيب لطلباتهم؟!

زاهر: لن نخسر شيئًا، لنجرّب وكفانا تعذيبًا ومهانة.

صلاح: ياه، كنت أخاف عليك من أن تصل لهذا، نجرّب ماذا؟! أن نسافر؟! أن نعطى اختراعاتنا لغيرنا ثم ننتظر حسناته؟! [يضحك بسخرية] القطن، المعادن، البترول، النباتات... إلى آخر القائمة، كلها نصدرها؛ ثم نعود فنستوردها مصنعة، لماذا لا نصنعها نحن؟! اختراعى في يدي لا ينقصه سوى التطبيق، لماذا نطبقّه هناك ثم نعود لنشتريه هنا؟!

زاهر: لا بد أنهم يعرفون مصلحة القرية أكثر منّا، فكر يا صلاح فى المصير الذي ينتظرنا هنا، والرخاء الذي ينتظرنا هناك.

صلاح: زاهر، ما دمت فكرت على هذا النحو، وهداك تفكيرك لهذا؛ فلن تجدي معك أية مناقشة، افعل ما تريد، يبدو أنهم أفرغوا رأسك وأعادوا ملأها على هواهم.

زاهر: أنا تعبت ومللت من كل شيء، صلاح أنا...

صلاح: لا تبرّر شيئًا، هنا موت، وهناك ما تعتقد أنه حياة، وعليك أن تختار.

[يطأطئ صلاح رأسه، ومع خفوت الإضاءة نسمع بكاءه، إضاءة على الشيخ والحراس يرجمونه بالطوب وهو ما زال مقيدًا بالسلاسل، "الغريب" يقف بجواره يأكل بعض أصابع الموز]

الشيخ: آه...

الغريب: هل تعنى كلمه "آه" هذه الموافقة؟

الشيخ: لا، تعني الألم والحسرة.

الغريب: أنت الذي تعذّب نفسك يا شيخ، بإمكانك أن تصير عظيمًا مثلي.

الشيخ: أنت شهيرٌ لكنك لست عظيمًا، هل تعرف الفرق؟!

الغريب: اخرس، لا أريد أن أسمع هذه الألغاز مرة أخرى [للحراس] اجلدوه، [للشيخ] أنا أستطيع أن أقتلك الآن، لكن ما زال لدي بعض الأمل في ترويضك، ولتعلم يا معلم الأطفال أنني سأشرّد كل من تسوّل له نفسه مخالفتي على هذه الأرض.

الشيخ: تذكر، أنك تحيا على هذه الأرض بشروطها لا بإمكانياتك.

الغريب: لا أفهم ما تهذي به، الذي أفهمه جيدًا ومتأكد منه؛ هو أنى الأقوى ولي نظرة صائبة لا تخطئ، ولذلك سأفعل دومًا ما أريد.

الشيخ: مصيبةُ أهل قريتنا أن الأغبياء دائمًا متأكدون؛ والأذكياء دائمًا مترددون.

الغريب: ومصيبتك أنك ستموت.

الشيخ: البشر لآدم وآدم من تراب؛ سأعود إلى التراب وسأنبت شجرة يأكل أطفال القرية من ثمارها؛ أو سنبلة قمح يُصنع منها رغيف خبز، وربما يموت جسدي وتظل روحي هائمة تطارد أهل القرية، وتحثهم على الخلاص؛ ثم تركن في الليل إلى الأطفال لتعلمهم القراءة والحساب، آه، ملعونة هي البلاد التي تضطر أبناءها لخيانتها.

[يموت الشيخ، يظهر صوت ترديد الأطفال للألفبائية، يخرج الغريب ومن حوله، خفوت تدريجي للإضاءة، نعود للزنزانة، صلاح وزاهر والحراس]

صلاح: أهوَ الفراق بيننا يا زاهر؟

زاهر: نعم هو الفراق يا ابن عمي وأبي [يفك الحراس قيود زاهر]

حارس (1): هيا، بسرعة، كبيرنا يريد رؤيتك قبل أن تسافر ..

زاهر: وأنت يا صلاح.؟

صلاح: مربوط أنا في ساقية هذه البلاد؛ إن دارت درت معها، وإن سكنت أسكن معها، مصيرنا أنا وهي واحد.

حارس (2): سننتظرك بالخارج يا زاهر [يخرج الحراس]

زاهر: إلى اللقاء يا صلاح [يهم بالخروج]

صلاح: [ينادى] زاهر [يعود زاهر مسرعًا يرتمي في حضن صلاح باكيًا] هي أقدارنا فلا تبكِ فلم نخلق كلنا لأدوار البطولة [يمسح زاهر دموعه ويخرج] صدقت يا أبي، ملعونة هي البلاد التي تضطر أبناءها لخيانتها.

[يقاوم "صلاح" ألمًا كبيرًا، يتأوّهُ بصوت مكتوم، تتغير الإضاءة، موسيقى حالمة مختلطة بصوت الناي، يقاوم صلاح آلامه المتزايدة، يرتكن للحائط، يحني رأسه في بطْء مع حشرجة صوت الناي حتى يقع هامدًا على الأرض مع آخر نفس للناي، تظهر هالة من النور تلف "صلاح" وتدور حوله؛ فيكاد جسده يشتعل من نورها، تتدخل سلمى إلي بؤرة النور بفستان العرس وهي تنادي، صوتها يظهر كما لو كان آتيًا من مكان بعيد]

سلمى: صلاح.

صلاح: [يستيقظ بنفس حالة البطء التي مات بها، وهو يتلفت حوله وكأنه يكتشف المكان] من الذي يناديني؟

سلمى: لا تخف يا صلاح، أنا سلمى.

صلاح: انتظرتك كثيرًا.

سلمى: لقد جئت إليك بثوب الزفاف، هيا انهض، لم يبقَ أمامنا المزيد من الوقت، لا بد أن تحضر عرسي على ضاحي هذه المرة.

[يتخلص صلاح من قيوده، تساعده على النهوض، تراقصه رقصة ناعمة]

صلاح: كم اشتقت إليكما.

سلمى: وأنا أيضًا، هل تعرف من سيحضر أيضًا حفل زفافي أنا وضاحي؟

[يظهر الشيخ معلم الأطفال]

صلاح: من؟ أبي؟! كيف حالك يا أبي؟

الشيخ: بخير يا ولدي، كيف تركت الأمور في قريتنا؟

صلاح: أسوأ مما كانت عليه يا أبي، لقد حدث...

الشيخ: [يقاطعه] هل قلت أسوأ مما كانت عليه؟! كان ذلك واضحًا منذ البداية؛ لكنني حتى اللحظة الأخيرة كنت أكذب نفسي، والآن دع يا بني أمور قريتنا وأهلها لغيرنا؛ فنحن لم نعد قادرين على نفعها الآن، لها الله وإرادة من بقي فيها.

سلمى: العُرس، أنسيتم عرسي؟!

الشيخ: لا يا سلمى، سنزّفك إلى ضاحي الآن.

[يظهر ضاحي ببذلة بيضاء أنيقة، ثم يخرج الأطفال من كل مكان، وهم يحملون الورود وشموع الزينة؛ ليتحلّقوا حول "ضاحي، وسلمى"، تظهر الأم أيضا لتحتضن ضاحي وتسير إلى جواره]

ضاحي: تأخر عرسنا كثيرًا يا أمي؛ لكنني كنت أؤمن أن الفرح قادم، [ثم لـ"صلاح"] انظر يا صلاح، هذا قصرك بجوارنا [يشير في اتجاه عمق الفضاء المسرحي] وقصري أنا وسلمي بجوارك، وهذا قصر والدك أيضًا، وستجد الكثير من أحبابك هنا.

الشيخ: والآن، هيا بنا.

[أصوات دفوف مع اختفاء تدريجي للإضاءة، ثم إضاءة تدريجية؛ لنجد أهل القرية وهم ينتشرون داخل أرجاء الفضاء المسرحي في حالة تدعو للرثاء، أحدهم يطارد شيئًا وهميًا، وآخر يحك جلده بقوّة ثم يخلع ملابسه في محاولة لتنظيفها، وثالث يبكي بصوت مكتوم، وبجواره شخص ميّت، ورابع يأتي بحركات جنونية غريبة ثم يصفع نفسه مرة، ويصفع شخصًا وهميًّا، يتخيله أمامه، مرّة أخرى.

في المقدمة توجد امرأة تغرّى أحد الحراس بجمالها، وهو يتأففّ منها، ويحاول الابتعاد عنها، وهي تلح عليه بكشف المزيد من جسدها، ورجلان آخران يزحفان باتجاه الطبق الذي تسقط داخله قطرات الماء، وعندما يصلان إليه يتعاركان ليقتل كل منهما الآخر، ثم ينهضان من موتهما؛ ليعيدا نفس ما حدث مرّة أخرى بطريقة سيزيفية مملة.

يدخل عازف الناي وقد أصبح رجلًا هرمًا، انحنى ظهره وتقوس حتى طالت لحيته البيضاء الأرض وتعفرت بترابها، نراه يتوكأ على عصًا كبيرة، ويمشي ببطء شديد؛ ثم يتخير مكانًا في أحد الأركان ويجلس، يخرج نايه ويحاول العزف عليه؛ فتخرج نغماته شائهة وغريبة، يلقي بالناي بعيدًا، يحاول أن يكتب على اللوح؛ لكنه يعود؛ فيشطب ما كتب، يرمي اللوح والقلم؛ ثم يجلس متأملاً ما حوله في صمت وملل.

يدخل أحد الأطفال وهو يحمل معه أوراق الاختراعات الخضراء، يسير بها حتى يصل لـ"عازف الناي"، يناولها له، يدخل بقية الأطفال ويجلسون حول العازف في حزن، فى عمق الفضاء المسرحي يظهر الغريب في مكان عال وهو يرسل ضحكة خفيفة، يليه وفى مكان أقل ارتفاعا "الكبير"، ثم العرَّاف؛ لكن الحراس يزيحونه من مكانه درجة درجة حتى يصل لأسفل السلم، إضاءة شديدة تتركزعليهم؛ ثم تخفت تدريجيًّا لتضاء على أهل القرية تارة، وعلى عرس سلمى وضاحي تارة أخرى، ومع الإظلام التدريجي للبؤر الثلاث، يتعالى صوت الأطفال وهم يعيدون ترديد الألفبائية].

فبراير 2001

الكاتب فى سطور



- كاتب وناقد مسرحي
- مواليد 10 أغسطس 1970
- رئيس التحرير التنفيذي لجريدة مسرحنا الأسبوعية ـــ وزارة الثقافة ـ القاهرة
- رئيس تحرير مجلة الكرمة (الثقافية) ـــ الهيئة العامة لقصور الثقافة
- موبايل : 01006163912
- البريد الألكتروني : elhoosiny@hotmail.com
- المؤهلات العلمية :

* دبلومة الدراسات العليا في الدراما والنقد 2000 ـ أكاديمية الفنون
* بكالوريوس المعهد العالي للفنون المسرحية 1998 /قسم الدراما ـ أكاديمية الفنون
* بكالوريوس علوم / قسم الرياضيات / جامعة الزقازيق 1993

- الأنشطة والممارسات العامة :

* عضو: نقابة المهن التمثيلية ـ اتحاد كتاب مصر

- رأس قسمي الثقافة والفنون بجريدة أوان الكويتية ـ مكتب القاهرة [2007 ـ 2010]
- قام بتحرير باب "المحيط تي في" في مجلة المحيط الثقافي ــــــ المجلس الأعلي للثقافة منذ بدايتها وحتي آخر أعدادها.
- كاتب وناقد مسرحي ، له أكثر من 500 مقال ودراسة طوال ما يزيد عن 25 عاما ، منذ عام 1994 وحتي الآن ، وخلال هذه الفترة كتب حوالي 40 نص مسرحي للكبار ،3 للأطفال معظمها تم نشره وتنفيذه علي خشبات المسارح المصرية والعربية والأجنبية.
- يكتب بشكل اسبوعي في جريدة مسرحنا ، ويحرر شهريا باب "أصوات مسرحية" في مجلة "عالم الكتاب" والذي يعمل علي إكتشاف كتاب المسرح الجدد في مصر.
- كتب مجموعة أفلام قصيرة ؛ منها: (سعادة) إنتاج صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات2005 ، (أنا وشادي) إنتاج المركز القومي للسينما 2012 ، (ما تيجي نتفاهم) إنتاج هيئة الاستعلامات 2010
- نوقشت مسرحياته في مؤتمرات علمية بأماكن مختلفة بمصر ؛ منها : وزارة الثقافة بمختلف مؤسساتها ، اتحاد كتاب مصر ، أكاديمية الفنون ، ودول عربية وأجنبية ؛ منها : الإمارات ،المغرب ،الأردن ،الجزائر،فرنسا ، وبأكثر من عشرة جامعات أمريكيه ؛ منها: هارفارد ،فاندربيلت ،نيويورك ،شيكاغو ،بورتلاند ،ميدل تينسي ،كانساس ... مسارح: هيبريد ووركس ،مسرح سان سيجال، سيجنتشر بنيويورك ، وكذا في مؤتمر (شخصية الآخر في الفن العربي) بجامعة بوردو 3 ـ مدينة بوردو الفرنسية.

- كـتبت عنه دراسات لنيل درجات علمية في: المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت وفي العديد من كليات الآداب بجامعات : القاهرة ، عين شمس ، حلوان ، كما يتناول الباحث محمد علاء الخطيب مسرحه في دراسة نقدية لنيل درجة الدكتوراه من كلية التربية النوعية بجامعة طنطا ، وقد خصص دليل المؤلفين الصادر عن إدارة المسرح بالهيئة العامة لقصور الثقافة فصلاً لدراسة مسرحه ـــ 2014 ، كما خصصت جامعة مدينة نيويورك حلقة بحثية عن مسرحه أدارتها هيلين شو وكان المتحدث الرئيسي فيها مارفن كارلسون.
- أدار مجموعة كبيرة من الورش التدريبية على فنون الكتابة الإبداعية المختلفة وخاصةً الكتابة المسرحية في مصر والدول العربية مثل : الإمارات ، الكويت ، المغرب ، الجزائر ، الأردن ، ... وكتب مقدمات عديدة لكتب صدرت لآخرين عن مؤسسات ثقافية مصرية وعربية.
- قام باختيار وترشيح مجموعة من المسرحيات المصرية للترجمة للإنجليزية في مشروع انسكلوبيديا "مسرحيات من ميدان التحرير" والتي ترجمت ونشرت في نيويورك/ دار نشر النورس لـــ: كارول مارتن. "Tahrir Tales: Plays from the Egyptian Revolution"

- كتب أشـعار وأغاني كثيرا من العروض المسـرحية ؛منها : "أخبار أهرام جمهورية ،سـابع أرض ،كوميديا الأحزان ،نوفل ،.." من إخراج سـامح مجاهد / مسـرح الغد ،"زنزانة لكل مواطن" إخراج محمود النقلي / مسـرح الغد ،"كوميديا الأحزان" لقومية الجيزة إخراج حمدي حسـين ،" مغامرة رأس المملوك جابر" إخراج د.محمد زعيمة ، "الكونكان " إخراج شريف صلاح الدين ، "ظل الحكايات"/ مسرح الغد إخراج عادل بركات..،...
- مُحاضر ومُحكم دائم في أنشطة المسرح المختلفة بالمؤسسات المعنية بالنشاط المسرحي في مصـر بداية من عضـوية لجان المهرجان الختامي لنوادي المسـرح بالهيئة العامة لقصـور الثقافة وحتي عضوية تحكيم المهرجان القومي للمسرح المصري.
- رأس تحرير وأدار العديد من إصـدارات ونشـرات المهرجانات المسـرحية المختلفة مثل: نوادي المسرح ،شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي ،الكويت للمونودراما / الكويت ،القاهرة السينمائي الدولي ،القومي للمسرح المصري ،المسرح العربي بالهيئة العربية للمسرح..
- نشرت كثيرا من مسرحياته في كتب مشتركة مع آخرين مثل: خيول النهار: مسرحية "القوت والقرار" / الهيئة العامة لقصـور الثقافة 1988 ،"أخبار أهرام جمهورية" دليل النصـوص 2002 ، وش الديب / جريدة مسرحنا 2009، أيام إخناتون / دليل النصوص 2004، وشم الغائب / نشرة نوادي المسرح 2016 ،مذكرات سنوحي المصري / دليل النصوص 2017 ، تغريبة آدم الليلكي / مجلة المسـرح المصـرية 2020 ، تجربة العدالة الفاسـدة / مجلة أدب ونقد 2020، ... كما نشـرت معظم مسـرحياته علي مواقع كثيرة علي الشـبكة العنكبوتية منها : www.kotobarabia.com ، جملون للنشر..

- تناول نقاد عرب وأجانب مسرحه بالنقد والتحليل ؛ منهم :

ـ مارفن كارلسون ، ألان هيبارد ، هيلين شو ، ريبيكا ماغور ، هاني عمر خليل ، د. محمد البكرى "مُـــــترجم لثلاثة من أعماله للإنجليزية" ، د. نهاد صليحة ، د. محمود نسيم ، د. حسن عطية ، د. سناء صليحة ، محفوظ عبد الرحمن ، د. مصطفى الضبع ، د.سيد الإمام ، عبد الكريم برشيد ، د. محسن مصيلحى ، د. رفيق الصبان ، د. محمد زعيمة د. محمد أمين عبد الصمد ، د. حمدى الجابرى ، د. محمد سمير الخطيب ، أحمد خميس ، محمد مسعد ، محمود الحلوانى ، سليم كتشنر ، عبد الغنى داود ، محمد عبد الحافظ ناصف ، محمود كحيله ، هديل الفهد ، عبد الغني داود ، محمد عبد الحافظ ناصف ،....

ـ الجوائـــــز :

- جائزة فارس الإبداع العربي من مؤسســـة النيل والفرات للطبع والنشــر والتوزيع / مصــر ومنظمة صدي المستقبل الإعلامية / ليبيا عن مسرحية "العطش" 2020
- جائزة الكتابة المسرحية من المجلس الأعلي للثقافة لمسرحية "تغريبة آدم الليلكي" ـــــ مركز أول 2020
- جائزة د. فوزي فهمي عن أفضــل دراســة نقدية عنوانها "مســرحة الأماكن" ــــــ المهرجان القومي للمسرح 2019
- أفضل نص مسرحي عن مسرحية حكاية سعيد الوزان / مهرجان التجارب النوعية الأول / الهيئة العامة لقصور الثقافة 2019

- جائزة محفوظ عبد الرحمن ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ المركز الأول عن مسرحية "مذكرات سنوحي المصري" 2018
- جائزة أفضل كتاب من معرض القاهرة الدولي للكتاب عن كتاب : مسرحية "حكاية سعيد الوزان" ـ القاهرة 2018
- جائزة التميّز من اتحاد كتاب مصر لأفضل نص مسرحي "كوميديا الأحزان" 2017
- جائزة د. حسن يعقوب العلي ـ الكويت ـ الدورة الأولى عن مسرحية "جنة الحشاشين" نسخة الفصحى ـ 2016
- جائزة ناجي نعمان الأدبية العالمية عن ثلاث مسرحيات مترجمة للإنجليزية هي كوميديا الأحزان جنة الحشاشين ، الغواية 2015
- جائزة المنظمة العربية للثقافة والتربيه والعلوم "الألكسو" وجامعة الدول العربية والتي مُنحت بمناسبة احتفالية "بغداد عاصمة للثقافة العربية" ـ الدورة الأولى عن مُجمل الأعمال الإبداعية في المسرح / بغداد / 2014
- جائزة ساويرس الثقافية لكبار الكتاب ـــ مركز أول عن مسرحية "جنة الحشاشين" نسخة العامية 2013

- جائزة كاتب العام من جامعة هارفارد الأمريكية ـ بوسطن ، عن مسرحية "كوميديا الأحزان" المُــــــترجمه للإنجليزية comedy of sorrows ، وتم تقديمها بالإنجليزية في افتتاح مؤتمر "النساء يصنعن الديمقراطية "بجامعة هارفارد" 2012
- جائزة مهرجان نوادي المسرح عن مسرحية "حديقة الغرباء" 2007
- جائزة د.عبد الغفار مكاوي التي يمنحها اتحاد كتاب مصر عن مسرحية "متحف الأعضاء البشرية" 2005
- جائزة المجلس الأعلى للثقافة ثلاث سنوات متتالية : 2000 - 2002 عن مسرحيات (وشم العصافير ، عازف الناي ، أيام إخناتون)
- جائزة د. سعاد الصباح / الكويت عن دراسة نقدية طويلة بعنوان "فعل التسييس في مسرح سعد الله ونوس" 2000
- جائزة محمد تيمور للإبداع المسرحي العربي عام 1998 ، عام 2000 عن مسرحيتين : (سكات شرقي ، الغواية).

- كتب صدرت عن دور نشر مصرية وعربية وأجنبية : (17 كتاباً

- جنـــة الحشاشين / مسرحية "طبعة 2": دار جملون للنشر ـ دبي 2020
- تغريبة آدم الليكي / مسرحية : دار جملون للنشر ـ دبي 2020
- مقام الشيخ الغريب / مسرحية "طبعة 2" دار جملون للنشر ـ دبي 2020

- حكاية سعيد الوزان / مسرحية: الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ نصوص مسرحية 2017
- مقام الشيخ الغريب / مسرحية :الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الإبداع المسرحي 2017
- المسرح والدين والثورة (أسئلة الأزمة) / نقد / دار الإسلام للطباعة والنشر 2015
- Comedy of sorrows دار نشر جامعة شيكاغو / الولايات المتحدة ـ نيويورك 2015
- كوميديا الأحزان والغواية: مسرحيتان/ طبعة 2/ الهيئة العربية للمسرح/ الشارقة 2013
- كوميديا الأحزان:الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة 1 / 2013
- سجن فايف ستارز:مسرحيةالهيئة العامة لقصور الثقافة 2013
- جنة الحشاشين : تجربة مسرحية (فصحى ، عامية) / دار ميريت للنشر 2008
- مراكب الشمس:مسرحية / الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008
- متحف الأعضاء البشرية ، خارج سرب الجنة : الهيئة المصرية العامة للكتاب 2004
- أيام إخناتون : مسرحية / الهيئة العامة لقصور الثقافة 2003
- وشم العصافير : مسرحية / المجلس الأعلى للثقافة 2002
- الغواية : مسرحية / ط1 / جائزة محمد تيمور ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999
- مسرح محمد صبحي (ضرورة تجاوز الذات) / صدر عن مهرجان أيام الشارقة المسرحية ـ الشارقة 2018

- كتـــــب مشتـــــركة مع آخريـــــن :

ــ خيول النهار[مع آخرين]ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة 1997

ــ تحولات الفرجة ..فرجة التحولات [مع آخرين] ـ مركز الفرجة ـ طنجة ـ المغرب 2013

ــ الكتابة المسرحية ..ماذا تروي؟ [بالإشتراك مع الكاتب المغربي أحمد السبياع] ـ أيام الشارقة 2017

ــ تلغيـــم الفـــن (المسرح بوصفه ساحة للتحيزات) ـ نور حواران للنشر والترجمة ـ الجزائر 2019

ــ مسرح الشـــارع دراسة ونصوص [مع آخرين] جامعة بابل ـ العراق 2020

ـ بعض نماذج لمسرحيات أنتجت على خشبات المسارح المصرية والعربية والأجنبية:

1ـ الغـــواية:

قـُدمت بعدّة رؤى إخراجية مختلفة ؛ منها :

- شريف صلاح الدين / قصر ثقافة 6 أكتوبر ـ الجيزة / 2001
- هشام إبراهيم / قصر ثقافة الفشن ـ بني سويف / 2004
- محمود الشوربجي / قصر ثقافة العاشر من رمضان ـ الشرقية / 2005
- عبد السلام عبد الجليل / قصر ثقافة مصطفى كامل ـ الإسكندرية /2007
- مصطفى هلال / قصر ثقافة ميت غمر ـ الدقهلية / 2008
- عادل بركات / قصر ثقافة شبرا الخيمة ـ القليوبية / 2009

- أيمن عادل ـ قصر ثقافة قويسنا ـ المنوفية / 2014

2ـ أخبار .. أهرام .. جمهورية:

قـُدمت بعدّة رؤى إخراجية مختلفة ؛ منها :

- سامح مجاهد / البيت الفني للمسرح ـ مسرح الغد ، وقـُـدم العرض بـ : العراق ، الجزائر ، الإمارات /2000 ، وأعيد العرض 2001
- سمير زاهر / فرقة السويس القومية ـ السويس / 2003
- حسن عبده / فرقة قصر ثقافة البدرشين ـ الجيزة / 2005
- رضا رمزي/ نوادي المسرح ـ قصر ثقافة المنصورة ـ الدقهلية / 2006
- محمد ربيع / اتحاد الشركات والعمال ـ القاهرة / 2007
- حسن عباس / بيت ثقافة بيلا ـــ البحيرة / 2008 محمد جمال / اتحاد الشركات والعمال ـ القاهرة / 2008
- مجدي عبيد / قصر ثقافة روض الفرج ـ القاهرة / 2009
- محمد المالكي / إقليمية بورسعيد ـ بورسعيد / 2009
- أحمد عبد العزيز / كلية التجارة ـ جامعة طنطا ـ الغربية / 2009
- عادل العدوي / فرقة قوص الحرة ـ محافظة قنا / أبريل 2014
- أيمن عادل / فرقة قصر ثقافة السلام ـ القاهرة / مايو 2014

3- كوميــــــــديا أيــد الهون:

قدمها المخرج صلاح الحاج على المسرح الكوميدي ــ البيت الفني للمسرح ، بطــولــة :

كمال أبو ريه ، غادة نافع ، صبري عبد المنعم / 2001

4- عشرة بلدي:

- شريف صلاح الدين / قصر ثقافة بدواي ـ الدقهلية / 2006
- محمود النجار / بيت ثقافة نجع حمادي ـ سوهاج / 2006
- حسين عز الدين / الفرقة القومية ببورسعيد 2018

5- أيام إخناتون:

- حمدي حسين / قومية الجيزة ـ الجيزة / 2003
- كرم أحمد / اتحاد العمال والشركات ـ القاهرة / 2010 ،الشباب والرياضة 2018

6- الكون كان:

- شريف صلاح الدين / قصر ثقافة بدواي ـ الدقهلية / 2008
- يوسف النقيب / مسرح جامعة المنوفية ـ المنوفية / 2011
- أحمد الدالي / مسرح فرقة فرشوط ـ قنا / 2016

7- وش الديب:

- هشام إبراهيم / قصر ثقافة أبو كبير ـ الشرقية / 2007
- أحمد عيسى / جامعة المنوفية ـ المنوفية / 2010
- مجدي عبيد / قصر ثقافة شبرا الخيمة ـ القليوبية / 2012
- محمد الأسيوطى / بيت ثقافة طامية ـ الفيوم / 2015

8- حديقة الغرباء:

محمد حامد / نادي مسرح قصر ثقافة بورسعيد - بورسعيد / 2007

أحمد جمعة / نادي مسرح إقليمية بورسعيد - بورسعيد / 2005

شريف النوبي / نادي مسرح الأقصر / 2014

يوسف النقيب / جامعة المنوفيه 2017

9- سابع أرض:

قدمها المخرج سامح مجاهد على مسرح الغد ـــ البيت الفني للمسرح ، وقام ببطولة العرض: صبري فواز ، أحمد الشافعي ، وفاء الحكيم ،... وقـُدم بتونس / 2008

10- زفرة العربي الأخيرة:

أنتجت في العاصمة الأردنية عمّان ـــ وزارة الثقافة الأردنية ـــ إخراج قيس الشوابكة ، وعـُرضت في ساحة مسرح جبل اللوبيدة بعمان / 2009

11- كوميديا الأحزان: (بالعربية):

- أخرجها سامح مجاهد للمرة الأولى بمسرح الغد - البيت الفني للمسرح ، بطولة : وفاء الحكيم ، عبد الرحيم حسن ، وائل أبو السعود ، معتز السويفي ، محمود الزيات ، ... ، وغناء وألحان أحمد حجازي ، وقـُدمت بالإسكندرية / 2012
- أخرجها محمد جمال الدين برؤية نسوية لمدارس سانت ماري للغات ، وحصلت التجربة على أفضل عرض على مدارس الجمهورية / 2013

- شيماء إبراهيم يوسف ـ كلية التجارة ـ جامعة كفر الشيخ / 2013
- محمد حامد / بيت ثقافة فيصل ـ السويس / 2014
- هشام حاتم / نادي مسرح طنطا ـ الغربية / 2014
- حمدى حسين/ قومية الجيزة ـ الجيزة / 2014
- علي خليفة ـ قصر ثقافة روض الفرج / القاهرة ـ 2016

12- كوميديا الأحزان: "Comedy of sorrows"(بالإنجليزية

تـُرجمت للإنجليزية وقدمتها عدّة مسارح وجامعات في أمريكا ؛ منها :

- جامعة هارفارد / بوسطن ... أخرجتها الأمريكية د. ريبيكا ماغور/ مارس 2012
- جامعة مدينة نيويورك / نيويورك ، وقد ناقشــها في الندوة التي تلت العرض الناقد الأمريكي مارفن كارلسون ، هيلين شو ونجلا إدوارد سعيد ... / أبريل 2012
- جامعة فاندربيلت / ناشفيل وناقشها د. آلان هيبارد ... / أبريل 2012
- جامعة ميدل تينيسي / تينيسي ، وقدمها أيضا " آلان هيبارد "/ أبريل 2012
- مشـروع أصـوات الدولي IVB بالاشـتراك مع القنصـلية الثقافية المصـرية العامة في ولاية شيكاغو ، وأخرجها هذه المرة جيمس ماكديرموت / مايو 2012 .

- أخرجها فرانك برادلي في جامعة رودس، ضـــمن مشـــروع ليال المســـرحيات الأجنبية ، وطاف بها عـدّة ولايات في شمال الولايات المتحدة من مثل بورتلاند / أغسطس 2012
- أنتجتها مؤسسة بوم آرتس بنيويورك وأخرجتها تريسى كاميرون فرانسيس / يناير 2013
- أخرجتها تريســـى فرانســـيس مرّة أخرى بإنتاج كامل على مســـرح Hybrid Theatre Works نيويورك/ أغسطس 2013 وقامت ببطولتها نجلا إبنة المفكر الكبيرإدوارد سعيد
- أخرجتها جينى كوراتولا لمسرح جامعة كانساس / سبتمبر2013
- المسرحية الوحيدة عن الثورة المصرية التي تـــُـــــرجمت وحققت هذا الانتشار الدولي كما قامت بتدريســـها عدّة جامعات أمريكية ، وأيضـــاً جامعة نيويورك بأبو ظبي ، ... ونوقشـــت بمؤتمرات دولية بـــــ : الإمارات ، المغرب ، لبنان، وناقشها مارفن كارلسون بعد عرضها بمركز سان سيجال بنيويورك وترجمت الندوة د.أسماء يحيي الطاهرعبدالله .

13- زي ما بيقول إبراهيم:

- جامعة المنصورة / إخراج شريف صلاح الدين ، والعرض إعداد لمجموعة نصوص للكاتب ؛ منها: "وش الديب ،كوميديا الأحزان ،أخبار أهرام جمهوريه ،سجن فايف ستارز 2012

14- زنزانة لكل مواطن:

- محمود النقلى / مسرح الغد ،وبطولة عبد الرحيم حسن ،وفاء الحكيم ،...وقدمت فى الجزائر 2013
- قصر ثقافة الريحاني ـ إخراج محروس عبد الفتاح ـ هيئة قصور الثقافة 2017

15ـ فلافيلو دوت كوم:" للأطفال"

محمد الدسوقي الإدارة العامة لمسرح الطفل مسرح بورسعيد/2013

محمد الطاهات ـ المسرح الملكي ـ وزارة الثقافة ـ الأردن / 2015

16- سجن فايف ستارز:

- محمد حجاج / الفرقة القومية للفيوم ـ الفيوم / 2014
- هشام إبراهيم / قصر ثقافة فاقوس ـ الشرقية / 2014
- محمد بحيرى قصر ثقافة العمال بشبرا / الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة 2016

17- حكاية سعيد الوزان:

- عماد عبد العاطى ـ الفرقة القومية ـ محافظة الأقصر 2015
- شريف النوبي ـ قصر فيصل ـ السويس ـ قصور الثقافة 2016
- محمد المصري ـ وزارة الشباب والرياضة 2018

18- هلاهوطة العظيم "مونودراما":

- إخراج وتمثيل الفنان الجزائري توفيق بخوش " بالعربية والفرنسية " ـ الجزائر / 2016

19- سلم طالع للشمس:

- أحمد الدالي / فرقة فرشوط ـ نوادي المسرح / 2015
- محمد عشري / جامعة بورسعيد 2016

20- وشم الغياب " مونودراما" :

- إخراج إبراهيم فهمي - قصر ثقافة بورسعيد 2017

- مازن الغرباوي - مركز الهناجر للفنون - تحت التحضير 2018

21- مقام الشيخ الغريب:

ـ إخراج أشرف النوبي / الفرقة القومية لمرسي مطروح 2017

- إخراج محمد حامد / قصر ثقافة القنطرة 2017

- عماد عبد العاطي / الأقصر 2018

22- ظل الحكايات:

- عادل بركات - مسرح الغد - 2019

23- مذكرات سنوحي المصري:

- شريف صلاح الدين : مذكرات سنوحي المصري / فرقة هواة المنصورة 2019

24- جنة الحشاشين "نسخة العامية":

- يسري السيد / قصر ثقافة حسن فتحي / الأقصر 2013

- السيد فجل / قصر ثقافة طنطا 2019

25- حصـــــار:

جامعة الملك عبد العزيز بجدة - إخراج محمد الجفري .. 2020

ـــ بالإضافة لعشرات الرؤى الإخراجية الأخرى لهذه النصوص في الجامعات ونوادي المسرح وفرق الهواة والتجمعات الحرة والمستقلة.

ـ روابط:

من بعض المواقع الأجنبية التي أجرت حوارات ووضـــعت مقالات عن الكاتب ، وتحدثت عن بعض مسرحياته:

https://www.radcliffe.harvard.edu/video/comedy-of-sorrows

http://here.org/shows/detail/1251/

https://www.culturebot.org/2012/05/13394/ibrahim-el-husseinis-comedy-of-sorrows/

https://www.indiegogo.com/projects/comedy-of-sorrows-new-play-from-egypt/#

https://thesegalcenter.org/event/egypt-in-transition-playwright-ibrahim-el-husseinis-commedia-al-ahzaan-comedy-of-sorrows/

https://www.gc.cuny.edu/All-GC-Events/Calendar/Detail?id=25727

https://www.broadwayworld.com/article/El-Husseini-Presents-English-Translation-of-COMEDY-OF-SORROWS-at-Segal-Center-42-20120401

https://arabhyphen.wordpress.com/2012/11/29/comedy-of-sorrows/

https://www.worldoregon.org/events/programs/headline-and-cultural-forums/new-theater-from-egypt-comedy-of-sorrows-by-ibrahim-el

محتوى الكتاب